المثقفون وكرة القدم

أشرف عبد الشافي

Telegram:@mbooks90

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أشرف عبد الشافي/ صحفي مصري يعمل بمؤسسة الأهرام.
يكتب الرواية والقصة القصيرة. وصدر له رواية "ودع هواك"
ومجموعة قصصية بعنوان: "منظر جانبي".

مقالات

المثقفون وكرة القدم
أشرف عبد الشافي
الطبعة الأولى فبراير 2010
رقم الإيداع:

جميع الحقوق محفوظة ©
عدا حالات المراجعة والتقديم والبحث والاقتباس العادية. فإنه لا يسمح بإنتاج أو نسخ أو تصوير أو ترجمة أي جزء من هذا الكتاب. بأي شكل أو وسيلة مهما كان نوعها إلا بإذن كتابي.

No part of this book may be reproduced or utilized in any from or by means, electronic or mechanical including photocopying, recording or by any information storage and retrieval system, without prior permission in writing of the publishers.

الناشران
محمد المزروعي ـ محمد البعلي

المحرر العام
مؤمن المحمدي

المستشار الفني
احمد الزغبي

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن رأي دار صفصافة.

SEFSAFA PUBLISHING HOUSE

www.sefsafa.com
sefsafa09@gmail.com

دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات
5 ش المسجد الأقصى - من ش المنشية - الجيزة - ج.م.ع.

المسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإهداء

إلى :

إبراهيم حجازي

عصام عبد المنعم

نصر القفاص

ياسر أيوب

...

الأربعة لا يعرفون سر هذا الإهداء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تصدير

الكبار في أرض الملعب

ربما كان الشاعر العراقي معروف الرصافي (1877-1945) هو صاحب أول قصيدة عربية عن كرة القدم، حيث صورها في أبيات ملحمية تصف حركة اللاعبين حول الكرة وتقدم بعض قوانينها بصياغة شعرية قوية، كنهج الرصافي في معظم قصائده؛ يقول الرصافي عن الكرة ولاعبيها:

قصدوا الرياضة لاعبين وبينهم

كرة تراض بلعبهـا الأجســـامُ

وقفوا لها متشمرين فألقيـــت

فتداولتـــها منهم الاقـــدامُ

يتراكضون وراءها في ساحـــة

للسوق معتـرك بهـا و صـــدامُ

رفسا بأرجلهم تساق وضربــها

بالكف عند اللاعبيــن حـــرامُ

ورغم أن التصوير الشعري في القصيدة واستخدام كلمات "معترك وصدام رفسًا" يبدو وكأنه تصوير لمعركة حربية، إلا أن ذلك لا ينتقص أهميتها كتحفة أدبية، وأول قصيدة عربية، على حد علمي، جسدت كرة القدم.

Telegram:@mbooks90

وحديث الشعر والكرة لا يكتمل ويصبح ممتعًا إلا بذكر شاعرنا الكبير "محمود درويش"، وكان درويش "كروي" الهوى، يعشق سحرها ويتغزل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في مهارات لاعبيها، وهو صاحب التعبير الشهير "كرة القدم أشرف الحروب".

ويحكي الشاعر المغربي سعد سرحان أن محمود درويش في إحدى قراءاته الشعرية بمدينة فاس، قدمته إحدى الكاتبات إلى الجمهور بكثير من المبالغة، بل بصفات فوق بشرية، مما أثار حفيظة الكثيرين. وحين تناول درويش الكلمة استهلها بشكر الحضور، وتعجب من حضورهم لأمسية شعرية رغم وجود مباراة مهمة بين فرنسا وإسبانيا تذاع في التوقيت نفسه، ثم أضاف بخفة دم: "أنا من جهتي أفضل متابعة المباراة حتى لو كان من سيحيي الأمسية هو المتنبي".

وكتب درويش مقالاً عن الساحر الأرجنتيني مارادونا، وكنتُ أحلم بأن أضمنه هذا الكتاب، لكنني فشلت فشلاً ذريعًا في الحصول عليها رغم ما بذلتُ من مجهود يشهد عليه صديقي "سيد محمود" وصديقتي الشاعرة السورية "لينا الطيبي"، فقد كانا من أصدقاء درويش، فاستعنت بهما وقد حاولا معي، لكنهما فشلا أيضًا، وكل ما حصلنا عليه من معلومات هو أن المقال نشر بمجلة "اليوم السابع" التي كانت تصدر في لندن وأن قليلين جدًا يحتفظون بالأعداد!

كل ذلك في عشق الساحرة المستديرة التي جعلت روائيًا كبيرًا مثل عمّنا "خيري شلبي" يصفها بـ"سيمفونية الفقراء"، ويعلن وقوعه في غرام فريق الإسماعيلي رغم أنه زملكاوي الهوى، ويخصص خيري شلبي فصلاً كاملاً في كتابه "صحبة العشاق .. رواد الكلمة والنغم" للكابتن محمد لطيف، أو"فاكهة الكرة المصرية" كما وصفه كاتبنا الكبير.

ومثل كل الأطفال في حواري إمبابة لعب المبدع "إبراهيم أصلان" الكرة الشراب، وصنع لنفسه نجومية في كل حواري المنطقة، فهو يجيد اللعب في منتصف الملعب إضافة إلى إجادته حراسة المرمى.

وأصلان صاحب "مالك الحزين" و"عصافير النيل" زملكاوي أصيل، حيث يقول: "معظم أهالي إمبابة والكيت كات يشجعون الزمالك، فالنادي قريب جدًا، ويمكن للشباب والمراهقين أن يتجمعوا سويًا لمشاهدة تدريبات الفريق، وكانت تلك متعة خاصة على أيامنا".

ولا أعرف من روّج لأكذوبة كراهية المثقفين لكرة القدم وتعاليهم عليها، عمومًا .. في هذا الكتاب قصص وحكايات عن كرة القدم في حياة أدباء ومثقفي مصر والعالم.

أشرف عبد الشافي

القاهرة

2009

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الكبار يتحدثون
ويلعبون أيضًا

الفصل الأول

نجيب محفوظ: كنت أشهر لاعب في حي العباسية

"اعتقدت في طفولتي أن الإنجليز لا يمكن هزيمتهم حتى في الرياضة .. وعندما هزمناهم وقعت في غرام كرة القدم."

محفوظ

شغلت كرة القدم عظماء العالم مثلما سكنت قلوب كثير من الأدباء والفلاسفة، وهناك عشرات الأعمال الأدبية التي اتخذت من اللعبة الأشهر في العالم محوزا أساسيًا لها، بل إن عددًا من هؤلاء الأدباء، محبي الكرة، كانوا من الحاصلين على جائزة نوبل، لذا لم يكن غريبًا أن تعد جريدة "نيويورك تايمز" ملفا عن أدباء وفلاسفة اشتركوا جميعًا في حب كرة القدم والكتابة عنها، ولم يكن غريبًا أن تختار النيويورك تايمز كاتبنا "نجيب محفوظ " ليلعب في مركز قلب الدفاع ضمن منتخب أدباء العالم، وفى تشكيلة هجومية اختارتها المجلة تضم أدباء كبار جابت شهرتهم الآفاق، وبعضهم كتب عن الساحرة المستديرة أعمالاً إبداعية رائعة.

قليلون الذين يعرفون أن كاتبنا الكبير الراحل "نجيب محفوظ" كان لاعبًا ماهرًا يجيد المراوغة ويتمتع بسرعة فائقة، بل إن قليلين يعرفون أنه لعب الكرة أصلاً، فالصورة الذهنية السائدة عن الكاتب والمثقف تجعل كثيرين يعتقدون أن كرة القدم خارج حسابات هؤلاء الأدباء والمفكرين.

وقد تكون مفاجأة لكثيرين أن يعرفوا أن فترة العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي شهدت صولات وجولات لصاحب نوبل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في ملاعب حي العباسية، وأنه اعتزلها مختارًا وهو يخطو أولى خطواته نحو الدراسة الجامعية.

وبعد حصوله على جائزة نوبل كأول عربي يحصل عليها في مجال الأدب، تحولت تفاصيل حياته إلى تاريخ يكتبه نقاد العالم ويتدارسه طلاب الجامعات في أوربا، وظل اهتمامه بكرة القدم محورًا أساسيًا في تلك الدراسات التي اهتمت به، وتحت عنوان: "الأدباء أيضًا يمكنهم اللعب" اختارت "نيويورك تايمز" أحد عشر لاعبًا يمثلون أشهر المهتمين بالكرة من بين أدباء العالم، ومن بينهم 3 شخصيات حصلوا على جائزة نوبل؛ الأول هو الأديب الروسي ـ الأمريكي "فلاديمير نابوكوف" لحراسة مرمى الفريق، وذلك لأنه مارس هذا الدور في صباه حيث كان يعشق حراسة المرمى، أما الثاني فهو الكاتب التركي الشهير "أورهان باموك" الحاصل على نوبل عام 2006، وذلك للّعب في مركز الظهير الأيسر.

وفى قلب الدفاع كان "نجيب محفوظ " حاضرًا، فصاحب "زقاق المدق" و"السراب" و"خان الخليلي" و"الحرافيش" و"بين القصرين" .. لعب كرة القدم بمهارة في شبابه، وشهدت شوارع العباسية مباريات ساخنة بين جيل كامل كان محفوظ واحدا من أبرزهم، وقد ساعدته مهاراته في اللعبة على اكتساب مهارات إبداعية فيما بعد، وهذا ما أكده الناقد د.محمد بدوي عندما قال: "كان نجيب محفوظ في مراهقته لاعب كرة قدم مشهورًا بالمراوغة والحيلة والسرعة، ثم قرر في لحظة ما أن يهب نفسه للكتابة ليواصل اللعب بمهارة وخفة وحكمة أيضا".

من المدرسة الابتدائية، بدأت علاقة الطالب "نجيب محفوظ " بكرة القدم، حيث كان يلعب في فريق الصغار بالمدرسة بينما ضم فريق الكبار الكابتن "ممدوح مختار" الذي كان يلعب بين صفوف الفريق الأول بالنادي الأهلي وهو من عائلة صقر التي اشتهر منها اللاعبان عبد الكريم ويحيى صقر؛ الأول شارك في أولمبياد لندن 1948 وهلسنكي عام 1952 ضمن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

منتخب مصر.

ولعب نجيب محفوظ في الهجوم وتحديدًا في مركز الجناح الأيسر، ويقول عن ذلك: "رغم أنني لا أجيد اللعب بقدمي اليسرى وكان ذلك المركز يحد كثيرًا من حركتي، ومع ذلك كنت هداف الفريق وأكثر لاعبيه إحرازًا للأهداف، وعندما انتقلت إلى مدرسة فؤاد الأول الثانوية تغير مركزي وأصبحت ألعب كقلب دفاع وأجدت في المركز الجديد لدرجة أن كثيرين ممن شاهدوني في ذلك الوقت تنبأوا لي بالنبوغ في كرة القدم وبأنني سألعب لأحد الأندية الكبيرة، ومنها إلى الأولمبياد مع المنتخب الوطني، ومن هنا كانت دهشة زملائي عندما انتقلنا إلى الدراسة الجامعية ورفضت الانضمام إلى فريق الكرة بالجامعة، ومنذ ذلك الوقت انقطعت علاقتي بكرة القدم من ناحية الممارسة ثم انقطعت صلتي بها من ناحية المشاهدة والمتابعة بعد اعتزال الكابتن حسين حجازي".

ويواصل صاحب نوبل حديثه عن علاقته بكرة القدم قائلاً: "قد لا يصدق أحد أنني كنت في يوم من الأيام "كابتن" في كرة القدم واستمر عشقي لها حوالي عشر سنوات متصلة، في أثناء دراستي بالمرحلتين الابتدائية والثانوية، ولم يأخذني منها سوى الأدب. ولو كنت داومت على ممارستها فربما أصبحت من نجومها البارزين؛ وعلاقتي بالكرة ترجع إلى الفترة التي انتقلنا فيها إلى العباسية، كنت وقتذاك قد التحقت بالمدرسة الابتدائية، واصطحبني شقيقي ذات يوم لزيارة صديق حميم له من عائلة الديواني، وهي عائلة معروفة، ومن أبنائها أطباء ومستشارون.. كان بيت هذا الصديق يطل على محطة السكة الحديد. وعندما فرغنا من تناول الغداء اقترح أن يصطحبنا لمشاهدة مباراة في كرة القدم بين فريق مصري وآخر إنجليزي، وكم كانت دهشتي كبيرة عندما فاز الفريق المصري، فقد كنت أعتقد حتى ذلك الوقت أن الإنجليز لا ينهزمون حتى في الرياضة".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويستطرد محفوظ: "رجعت يومئذ إلى البيت وذهني كله معلق بكرة القدم، وبأسماء لاعبي الفريق المصري الذي هزم الانجليز، وخاصة كابتن الفريق حسين حجازي نجم مصر ذائع الصيت في ذلك الوقت؛ طلبت من والدي أن يشتري لي كرة، وألححت عليه حتى وافق، وبدأت أقضي وقتًا طويلاً في فناء المنزل ألعب الكرة بمفردي، محاولاً تقليد ما شاهدته في تلك المباراة التي خلبت عقلي، وبسرعة شديدة استطعت أن أتقن المبادئ الأساسية للعبة.".

ويقول صاحب نوبل: "كانت المدرسة الابتدائية في ذلك الوقت لا تلتزم بسن محددة للالتحاق بها، فكنت تجد إلى جانب الأطفال الصغار في سن الثامنة أو التاسعة شبابًا تجاوزوا العشرين ولهم شوارب كبيرة ... وحسين حجازي -وهو كابتن الفريق المصري ولعب في أولمبياد 1928 ونالت مصر وقتها المركز الرابع- عندي هو حقيقة رأيتها وأسطورة سمعت عنها، فقد رأيته في أواخر حياته الكروية قبل الاعتزال، ونظرًا لشعبيته الرهيبة وموهبته الفذة ظل يمارس اللعب حتى شارف الأربعين من عمره، وهي سن كبيرة بالنسبة للاعبي كرة القدم؛ ففي الغالب يعتزل النجوم بعد تخطي سن الثلاثين بقليل، وحتى في هذه السن المتقدمة كان حسين حجازي له ثقله في الملعب، وفي المرات التي شاهدته أعجبتني فيه ميزات، منها أنه يقوم بدور المايسترو خير قيام، كما أن لعبه كان نظيفًا، فلم يحدث أن ارتكب خطأً متعمدًا ضد لاعب من الفريق المنافس، ومنها أيضًا قوة تسديداته على المرمى لدرجة أنه كثيرًا ما كان يسدد الكرة من منتصف الملعب فتدخل المرمى.".

ويواصل أديبنا الكبير حكاياته عن الكرة؛ فيقول: "إلى جانب حسين حجازي، كان "علي الحسني" من النجوم المشهورين في تلك الفترة، وكان من فتوات بولاق، ويلعب في مركز قلب الدفاع، وتميز ببنيانه القوي وطريقة لعبه العنيفة، وإن كان "مرعي" حارس المرمى أشد منه

CamScanner المسوحة ضوئيا بـ

عنفًا، حيث كان شعاره في اللعب "اللي يفوت يموت". وكان مرعي أشبه بالعملاق لدرجة أنه كان يصد الكرة بيد واحدة ويتلقفها كما يتلقف البرتقالة، حتى إنها كانت تستقر في يده ولا تتحرك أبدًا، وفى رواية "المرايا" أشرت لشخصية "علي الحسني" وبعد نشر الرواية فوجئت به يتصل تلفونيًا ليشكرني على تذكري له؛ جاءني صوته ضعيفًا خافتًا فعرفت أن المرض أنهكه وأنه لا يغادر فراشه وتعجبت من الحال الذي وصل إليه هذا العملاق.".

ويستطرد: "إلى جانب هؤلاء كان هناك جميل الزبير باشا وسيد أباظة ومحمود مختار التتش وممدوح مختار ومحمد سليمان الذي كنا نطلق عليه لقب هندنبرج. وجميل الزبير باشا هو ابن الزبير باشا المعروف في تاريخ السودان ومصر والمشارك بكفاءة كقائد في حرب العثمانيين مع روسيا، وقد أنعم عليه الخليفة العثماني برتبة فريق كأول سوداني يحصل على هذه الرتبة، وكان جميل الذي كان يلعب في مركز الجناح الأيسر في فريق النادي الأهلي يسكن في ذهبية على النيل.".

Telegram:@mbooks90

ويقول نجيب محفوظ عن نفسه: إذا كان حسين حجازي هو كابتن الفريق المصري فقد كنت أنا كابتن فريق "قلب الأسد" في شوارع العباسية مع أصدقائي أثناء الدراسة الابتدائية.

ولم يعرف نجيب محفوظ لاعبي الأجيال التالية، لكنه عبر عن دهشته لما رآه على لاعب الكرة من تغييرات مقارنة بلاعبي فترة الثلاثينيات والأربعينيات، فقال: "والملاحظة التي لفتت نظري أن نجوم كرة القدم الآن أصبحوا أكثر ثراء من نجوم السينما، بينما كان دخل لاعب الكرة قديمًا ضعيفًا جدًا، حتى أن "علي الحسني" بعد اعتزاله لم يجد ثمن الدواء وكان اللاعب يمارس الكرة على سبيل الهواية بينما له حرفة أخرى يتكسب منها رزقه .. ولم يكن يتفرغ لها إلا أولاد الذوات مثل حسين حجازي فهو ابن الأعيان. وأذكر أثناء عملي في وزارة الأوقاف أن قابلني

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شاب عرفني بنفسه على أنه ابن حسين حجازي؛ فصافحته بحرارة وقلت له: "تعالى لما أبوسك .. دا أنا صقفت لأبوك لما إيدى اتهرت"، ولفت نظري كذلك الانتشار الرهيب لكرة القدم، وربما يكون مرجع ذلك للإذاعة والتليفزيون والصحف التي أصبحت تفرد للكرة مساحات كبيرة، وفى أيامنا كان الاهتمام أقل من ذلك بنسبة كبيرة؛ لانشغال الناس بالقضايا السياسية.".

"أما عن التعصب الذي يشكون منه الآن بين جماهير الأندية فكان موجودًا في أيامنا أيضًا،يقول محفوظ، خاصة في المباريات بين فرق القاهرة والإسكندرية، وفى المباريات التي كانت تذهب فيها فرق القاهرة للعب في الثغر كما كنا نسميه، تتحول الإسكندرية إلى ثكنة عسكرية وتعلن حالة الطوارئ تحسبًا لشغب الجمهور.".

هكذا تحدث محفوظ عن كرة القدم، وقد تعمدنا ترك حديثه متدفقًا لنرى كيف وقع هذا العملاق في عشق كرة القدم، وكيف اتخذ من اللاعب حسين حجازي مثالاً وقدوة له في شبابه.

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

الفصل الثاني

الساحرة التي سرقت عقول كبار الأدباء في العالم

"أغبياء أولئك الذين يكرهون كرة القدم؛ إنها لا تقل أهمية عن القصة والرواية"

ت . س. إليوت

"تعلمت من تلك اللعبة أن الكرة لا تأتي مطلقًا نحو أحدنا من الجهة التي ينتظرها منها. وقد ساعدني ذلك كثيرًا في الحياة، خصوصًا في المدن الكبيرة حيث الناس لا يكونون مستقيمين عادةً".

عليك أن تتأمل تلك العبارة البديعة التي كتبها واحد من أهم أدباء العالم هو "ألبير كامو"، والذي لعب كرة القدم كمحترف وليس كهاوٍ، وكاد أن يصبح واحدًا من أهم حراس المرمى في العالم. لكن الفقر الذي عاشه خلال طفولته وصباه بالجزائر، أثناء فترة الاحتلال الفرنسي لها، جعل الأمراض تعرف طريقها إليه مبكرًا، فقد أصيب كامو الشاب خلال دراسته الجامعية بمرض السل، فانقطع عن الرياضة وعن كرة القدم مرغمًا.

وكان كامو حارس مرمى لفريق كرة القدم بجامعة وهران بالجزائر سنة 1930، وحكى كامو عن الساحرة المستديرة التي علمته الكثير، وكيف كان يتأمل جنونها ومتعتها، وخفقات القلب فرحًا كلما نجح في إنقاذ مرماه من هدف محقق، وإعجابه بنفسه وهو يسمع آهات الجمهور، ونظرات الإعجاب في عيون زملائه في الفريق كلما خرجت الشباك نظيفة.

في البداية لم يكن كامو يريد اللعب كحارس مرمى، لكن جدته التي لم تكن تحب اللعب عمومًا، وتراه استهلاكًا للحذاء بلا طائل، هي التي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أجبرته على القبول باللعب كحارس مرمى، فلن يحافظ على الحذاء ولن ينجو من عقاب جدته إلا بتلك الطريقة، وضحى كامو -الذي سيحصل على جائزة نوبل في الأدب فيما بعد- بمستقبل كبير كهداف ماهر، لكنه ومع الأيام وقع في غرام الوقوف أسفل الثلاث خشبات حيث قال: "حارس المرمى يستطيع التأمل .. وتعلمت من حراسة المرمى كيف أن الكرة تحتاج تركيزًا وسرعة بديهة، فهي لا تأتى دائمًا من المكان الذي نتوقعه، وعلينا بذلك أن نتوقع الغدر ولا نطمئن كثيرًا لحسن النوايا.".

سيتعلم حارس المرمى الصغير فيما بعد فلسفة التمرد، ففي عام 1949، وبعد تسعة عشر عامًا من الاعتزال الإجباري لكرة القدم، يكتب كامو كتابه "الإنسان التمرد" ويعلن الرفض الصريح للشيوعية، فتنقلب عليه الدنيا. والأصدقاء أيضًا، ويدخل في عزلة قاسية، لكنه يواصل مسيرته حتى يكتب روائعه "الغريب" ثم "أسطورة سيزيف" ويعمل في منظمة اليونسكو، ثم يصبح أهم كاتب في مجال العمل الإنساني المتضامن مع الشعوب المقهورة، ويعلن في 1952 استقالته من منصبه في منظمة اليونسكو احتجاجًا على قبول الأمم المتحدة لقبول عضوية إسبانيا، وهى تحت حكم الجنرال فرانكو، الذي قاد انقلابًا على الحكم في إسبانيا وحكمها بالحديد والنار حتى وفاته عام 1975، وبعد خمس سنوات أي في 1957 يحصل حارس المرمى الفقير على جائزة نوبل في الآداب عن سلسلة المقالات التي كتبها منتقدًا فيها عقوبة الإعدام.

أدب الأقدام في كأس العالم

كثيرون يجهلون مرحلة حراسة المرمى في حياة كامو، وكثيرون يجهلون بدايات عظماء الأدب والفلسفة، وهذا ما انتبهت إليه ألمانيا قبل تنظيم كأس العالم 2006، وكان مفاجئًا للعالم كله أن تجعل الأدب جزءًا من عملية الترويج الإعلامي لأهم بطولة كروية، وتم توجيه الدعوة لعدد من أهم أدباء العالم لحضور المونديال، ولم يتردد منظمو البطولة في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تخصيص قسم خاص للأدب تحت عنوان "أدب الأقدام في المونديال"، وكان الجمهور قبل دخول الإستاد للاستمتاع بالساحرة المستديرة يشاهد في هذا القسم أهم الكتب والروايات التي اهتمت بكرة القدم، وكان الكاتب البرازيلي "باولو كويلو" والإيطالي "أمبرتو إيكو" من نجوم المونديال، وكتب "إيكو" عن اللعبة الأشهر في العالم مقالاً أكد فيه أن عشق كرة القدم متعة لا تنتهي وأن مشاهدة المباراة وحدها لا تكفي، فهناك متعة في متابعة التعليقات ومشاهدة الصحف والقنوات الفضائية والملصقات الخاصة بالمباريات: "سيكون ذلك بلا ملل، فالكرة ظاهرة اجتماعية تستحق أن تكون متعة الحياة اليومية.".

وشهدت معظم المدن الألمانية اهتمامًا كبيرًا بالأدب من خلال كرة القدم خلال المونديال، ودخل الشعر الإعلانات والملصقات الدعائية، وتم اقتباس مقولات الأدباء والفلاسفة ووضعها فى محطات المترو والكافيهات، وكانت المفاجأة الأكبر هي دعوة الكاتب "جونتر جراس" الألماني، الحائز على نوبل، ليقرأ مقاطع من أعماله في الإستاد الرئيسي للمونديال، وامتلأت المدرجات بالجمهور فهذا الكاتب الألماني هو أشهر روائي ألماني حي، وفى برلين يحتل مكانة غير عادية جعلت المستشارة أنجيلا ميركل تحرص على تهنئته في عيد ميلاده اعترافًا بمكانته وقيمته، فهو صاحب الدعوة الشهيرة للألمان كي يتخلصوا من مرحلة النازية كأنها لم تكن، وظل حريصًا على دعوته كي يتقدم المجتمع الألماني دون شعور بالخزي أو العار، وصفق الجمهور لجونتر جراس قبل أن يصفقوا لنجم الكرة الألماني "مايكل بالاك".

إليوت .. من هم الأغبياء يا شاعر؟

كانت مفاجأة كبرى تلك التي قدمها الشاعر الأمريكي الشهير "ت. س.إليوت" لقراء وعشاق قصائده عندما قال: "أغبياء أولئك الذين يكرهون كرة القدم"، فقد ظن جمهوره الذي يهيم مع الشعر أن "إليوت"

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لا يمكن أن يكون على علاقة بلعبة كرة القدم، فكيف لشاعر يكتب عن الأحقاد التي تملأ نفوس البشر ويقدم فلسفة خاصة في قصائده عن الحزن والتشاؤم أن يقع في عشق تلك اللعبة؟!

لكن إليوت (1888 ـ 1965) فعلها، ولم تمنعه مكانته كأحد أهم شعراء التجديد والحداثة في العالم والحاصل على جائزة نوبل عام 1948 من التحدث عن الساحرة المستديرة، بل ويعترف بأنه كان يتهرب من الندوات التي يتصادف موعد انعقادها مع إقامة مباراة في كرة القدم، فقد كان يتابع المباريات بشغف ومتعة، ووجه إليوت الذي تُدرس أعماله بالجامعات والمعاهد خاصة قصيدته الأشهر "الأرض الخراب" توبيخًا وانتقادًا واضحًا وصريحًا لكل من ينظر إلى الساحرة المستديرة نظرة استعلاء بمقولته الحادة التي جعلت جمهور الشعر يلتفت إلى أهمية كرة القدم، ووصل إليوت إلى القول بأن "كرة القدم هي العنصر الأساسي فى الثقافة المعاصرة" وأن الشعر والقصة والرواية ليست عنصرًا أهم من تلك اللعبة التي تحمل ثقافة الشعوب وتعكس تحضرها.

مذكرات مارادونا تسجل أعلى المبيعات في سوق الكتب

تبقى مذكرات مارادونا "أنا الدييجو"، والتي حققت مبيعات غير مسبوقة في سوق الكتب، تحفة أدبية أجمع كبار المثقفين والأدباء على وصفها بالمذكرات "الممتعة" حيث تحدث الأرجنتيني دييجو أرماندو مارادونا، الذي يعد أحد أفضل لاعبي كرة القدم في القرن العشرين، بجرأة وصراحة وشجاعة جعلت من الكتاب سيرة ذاتية تستحق الاحترام لفتى صعد إلى عنان السماء بعد أن كان فقيرًا لا يعرفه أحد، والحديث عن كرة القدم في الأدب العالمي ممتد ولا ينقطع وسنتوقف عنده كثيرًا.

ففي إنجلترا حقق كتاب "الأقوال حول كرة القدم" أعلى المبيعات، وقد تضمن أجمل العبارات التي قيلت عن الساحرة المستديرة التي سرقت

المسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العقول، وهى مقولات لفلاسفة وأدباء ونجوم في عالم الكرة أيضًا، حيث وضع كل منهم خبرته الطويلة في عبارة قصيرة محكمة، فهاهو الساحر الأسمر البرازيلي "بيليه" يقول: "كرة القدم البرازيلية مصدرها القلب وكرة القدم الأوروبية مصدرها العقل"، ويرى رئيس الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) جوزيف بلاتر أن قوة كرة القدم أعظم قوة موجودة في العالم، في حين عبر حارس مرمى ألمانيا الشهير "أوليفر كان"عن تجربته قائلاً: "أنْ تتحمل كل هذه الضغوط الرهيبة في كرة القدم فهى الحماقة، إن كرة القدم ليست مجرد لعبة أو متعة.. أحيانًا قد تحرمك كل السعادة وأحيانًا قد تلزمك العيش في قلق وخوف"، وقال فيها الأمين العام السابق للأمم المتحدة كوفي عنان كلمته الشهيرة: "إن الشغف نحو كرة القدم انعكس على حياة ملايين الأشخاص في العالم وهذا يجعلها تستحق الاحترام".

يفتوشينكو ..موسيقى كرة القدم

"لا أعرف كتابة قصيدة دون الاستمتاع بكرة القدم، هنالك موسيقى غريبة تجمع بين الشعر وتلك الساحرة"، هكذا تحدث "يفتوشينكو"، وهو ليس شخصًا عاديًا ولا عابرًا؛ إنه الشاعر الروسي الشهير "ألكسندروفيتش يفتوشينكو"، والذي ترجمت أعماله إلى معظم لغات العالم بما فيها العربية.

وهذا العشق للساحرة المستديرة الفاتنة لم يأت فجأة، بل عبر قصة طويلة من الحب والاحتراف أيضًا، لدرجة أن "يفتوشينكو" كاد يصبح نجمًا رياضيًا كحارس مرمى، وشهدت ملاعب مدينته الصغيرة "سيما" في سيبيريا تألقًا غير مسبوق لهذا الحارس، وكانت والدته تشجعه على الاستمرار في مشواره وترى مستقبله في الساحرة المستديرة وليس في شيء آخر، لكنه فجأة وجد نفسه في الشعر ويومها قالت له أمه: "لقد ضعت نهائيًا يا ولدى"!!

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

وفى سيرته الذاتية يعلق يفتوشينكو ساخرًا من نفسه: "ليتنى سمعت كلام أمي، فلو واظبت لأصبحت أكثر نجومية من بيكنباور، أو مارادونا، كنت سأصنع تاريخًا مغايرًا لحراس المرمى.".

ويذكر الكاتب أحمد حجار في مقال له بجريدة الحياة اللندنية (3 يوليو 2006) أن "يفتوشينكو" كان مدمنًا في مراهقته على لعب كرة القدم، في الليل يكتب الشعر وفي النهار يلعب كرة القدم في الساحات العمومية والأرض الخلاء، ويعود إلى البيت بسروال ممزق وركبتين داميتين.

وبعد أن ترك الملاعب ظل قلبه معلقًا بكرة القدم، لدرجة أن صوت الكرة كان يبدو له أشد النغمات الموسيقية سحرًا، وكان يقول عن ذلك: "إن هناك شيئًا مشتركًا بين كرة القدم والشعر"، ولم يكن هذا جنونًا من الشاعر الكبير، بل كان حبًا وعشقًا وتأملاً دائما لعالم الكرة، لدرجة أنه أصبح يستخرج الحِكَم منها، فهو يرى مثلاً أن دليل العبقرية والموهبة في كرة القدم واضح ولا يحتاج جهدًا للإثبات: "إذا سجل اللاعب هدفًا فإن الأمر لا يحتاج جدلاً على موهبته. الكرة في الشباك، وعلى من يرى غير ذلك أن يقول!! وعلى العكس من ذلك فإن على الشاعر أن ينتظر الكثير ليثبت أن كرته أصابت الهدف.".

ويتندر " يفتوشينكو "على نقاد الأدب والشعر قائلاً إنهم أحيانًا يحتسبون لبعض الشعراء أهدافا لم يسجلوها"، بمعنى أنهم يصفقون لشعراء محدودي الموهبة.

وفى سيرته الذاتية كان لكرة القدم نصيب وافر من أحاديث يفتوشينكو، فقد ذكر قصة والدته: "لم تكن أمي تريد -بأي ثمن- أن أصبح شاعرًا، ليس عن قلة ذوق وعدم ميل إلى الشعر، بل لأنها كانت تعرف مصير الشعراء الروس المفجع وكانت تتوسل إليَّ باستمرار أن أهتم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بشيء جديّ. لكن الجديّ بالنسبة إليّ -بكل أسف- كان هو الشعر بالذات. وعندما علمت أمي أن أول قصيدة ستنشر لي في الصحف قالت بأسى: مسكين أنت يا ولدي لقد ضعت الآن نهائيًا"!!.

ويعلق يفتوشيتكو على ذلك قائلاً: "ربما كانت على حق".

ومن روسيا إلى إيطاليا حيث الشاعر والكاتب والمخرج الشهير "بيير باولو بازولينى"، الذي كان يرى أن كرة القدم تشبه طقسًا إغريقيًا رائعًا مثل تلك الطقوس التي صنعت المسرح الروماني القديم،ومازالت كرة القدم تصلح بديلاً عن العروض المسرحية، ويوضح بازولينى:"الملعب ساحة متكاملة فيها صراع ودراما وهزيمة وانتصار وفرحة وانكسار"، وكان بازولينى أول من قال إن كرة القدم "لغة" لأنها تضم مجموعة من الرموز التي يمكن فهمها والتعامل معها دون الحاجة إلى أية لغة أخرى، بل وضم الكرة في أعماله الفنية كجزء أساسي من الحياة، ومن أقواله اللطيفة عن لاعبي الكرة الإيطاليين: "إن ريفيرا يلعب الكرة شعرا، وإن كورسو يلعبها نثرًا، وإن ماتزولا يلعب الكرة شعرًا تتخلله بعض الجمل النثرية، وهو نفسه كان يلعب في مركز الجناح الأيمن وكان لاعبًا ماهرًا.".

وعندما سألوه عما كان يريد أن يكونه لو لم يكن أديبًا وسينمائيًا قال:"لاعب كرة ماهرًا، بعد السينما تعتبر كرة القدم من أعظم المتع بالنسبة لي.".

متعة الفقراء

كان الروائي البرازيلي "جورجى أمادو" يرى أن كرة القدم تحدد ثقافة الشعوب، وأن عظمة البرازيل تسكن بين أقدام الموهوبين في تلك اللعبة حيث قال: "إننا شعب مخلوق لتلك اللعبة وهى مخلوقة لنا؛ هي تسلية الفقراء ومتعتهم".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكان انشغال أمادو بكرة القدم طبيعيا للغاية ليس فقط لأنه برازيلي، ولكن لنشأته وسط مجتمع يعاني الفقر ويبحث عن المتعة، ورفض أمادو الكتابة عن أي عالم آخر غير هؤلاء البرازيليين البسطاء. وكان دائمًا يقول: "الفلاحون، لاعبو الكرة، عساكر الجيش، المجرمون هم أبطال رواياتي".

ولد جورجي أمادو -الذى ترشح لجائزة نوبل أكثر من مرة- وسط مزرعة كاكاو في "باهيا"، وهي ثاني ولاية في البرازيل، ويبلغ تعدادها 60 مليون نسمة، ويقول: "ولدت بين بشر نشاطهم الرئيسي زراعة الكاكاو، يعانون من سوء التغذية وعدم التوزيع العادل للثروات. لكنهم يحبون الحياة وكرة القدم.".

"إلى حبي الكبير .. ريال مدريد". كانت هذه العبارة التي تصدرت كتاب "معاركنا الأولى" كافية كي يهتم عشاق الريال بالروائي "خافيير ماریاس"، بل وأن يضعوه ضمن قائمة العظماء من مشجعي الريال والتي تضم شخصيات سياسية بارزة كما تضم نجوم هوليوود "توم كروز وأنطونيو بانديراس وكاميرون دياز.".

وماریاس الإسبانى الذي يعيش فى ألمانيا له قصة طويلة مع كرة القدم، فهو من أفضل من كتبوا عن عالمها الحقيقي، وذلك في روايته "أشرار طيبون" حيث وصف "أجمل رياضة في العالم"، والتي تسمح لنا بالعودة إلى طفولتنا على حد تعبيره.

وفى نهائيات كأس العالم السابقة بألمانيا كان "ماریاس" نجمًا في كل الملاعب تقريبًا، فهو الكاتب الذي وزعت روايته "قلب أبيض للغاية" أكثر من مليون نسخة، وكانت الشهرة التي يعيش فى أجوائها لاعب كرة القدم وراء تخوفات الروائي الشهير من مصائر هؤلاء بعد الاعتزال، وكتب العديد من المقالات التي عبر خلالها عن الأسى والحزن الذي يعيشه اللاعب إذا اعتزل ولم يجد عملاً يتربح منه وشهرة تعادل شهرة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الملاعب، وقال إن قلبه اطمأن عندما وجد القيصر بيكنباور فرصة كبيرة بعد الاعتزال، ونال شهرة أوسع، حيث يعتقد ماریاس أن لاعبي كرة القدم يستحقون "التعاطف"، ففي بعض الأحيان يكون الوضع مأساويًا، لكن بوجه عام لا نعرفِ ماذا يحدث عندما يعتزلون، نعلم ما يحدث لبعضهم فقط، وهم الذين صاروا مدربين أو رؤساء أندية مثل فرانز بيكنباور. لكن هؤلاء يمثلون أقلية".

ورغم عشقه للريال إلا أن ماریاس كان يرفض التعصب الأعمى، وقال: "في بلد مليء بالمتعصبين لأنديتهم أكثر من المنتخب يكون من الطبيعي أن يصبح المنتخب لا يمثل كل الأسبان".

أما عبقري الرواية العالمية الأميركي "إرنست همنجواي" فتقول سيرته الذاتية إنه كان مولعًا بكرة القدم قبل أن تستهويه مصارعة الثيران التي تابع مبارياتها وصادق مشاهيرها وألف عنها كتابًا كاملاً. وقد عاش همنجواي حياة غريبة للغاية، ففي مرحلة الدراسة الابتدائية أظهر ميلاً شديدًا للملاكمة وكرة القدم، وظل يمارس الهوايتين معًا، وعمل أجيرًا في المزارع، وملاكمًا محترفًا، ومخبرًا صحفيًا، وسائقًا لإحدى سيارات الإسعاف حين نشبت الحرب العالمية الأولى، وكانت رحلات صيد الحيوانات والطيور والأسماك هوايته المفضلة، حتى أنه سافر إلى أواسط أفريقيا عام 1934 حيث قضى مدة طويلة في صيد الحيوانات المفترسة وعاد محملاً برؤوسها، وسجل ذلك في روايته "ثلوج كلمنجارو".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثالث

آل باتشينو .. النجم الذي صنعته كرة القدم

الكرة كانت مفتاح شهرة "جيوفاني أربينو" مؤلف رواية "عطر امرأة" التي قدمت لباتشينو دور الأوسكار

انتظر عشاق النجم "آل باتشينو" كثيرًا قبل أن يتوج على منصة التكريم ويحصل على جائزة الأوسكار عام 1992، وصفق عشاق الأب الروحي تصفيقًا مدويًا لهذا الحدث، لكن أحدا لم يصفق لصاحبة الفضل الأول في ذلك كله!!

إنها كرة القدم. نعم، هي تلك الساحرة التي تلتف حولها قلوب العشاق في كل مكان، ومن يصدق أن هذا النجم الكبير وعبقري التمثيل ما كان ليظهر ويسطع نجمه لولاها!

إنها قصة طويلة، وقبل أن ندخل في تفاصيلها علينا أولاً أن نعرف اسم كاتب يدعى "جيوفاني أربينو" ظل كاتبا مغمورًا حتى كتب رواية عن كرة القدم، فقد اختار جيوفاني كتابة دراما تدور أحداثها حول مونديال 1974 بألمانيا واستغلت دار النشر الفكرة وقامت بعرض الرواية في الملاعب مع دعاية ضخمة ساهمت في بيع أكثر نصف مليون نسخة من رواية جيوفاني التي حملت اسم "الأزرق الداكن"، وصنعت تلك الرواية اسم كاتب كبير اسمه "جيوفاني" الذي أمتع العالم فيما بعد براويته "عطر امرأة".

والحقيقة أن "عطر امرأة" كانت ستظل مجرد رواية على أرفف المكتبات يغلفها التراب والإهمال لولا المخرج العبقري "مارتن بروست" الذي تحمس للكاتب وللرواية، وبالطبع ساعدته شهرة جيوفاني التي حققها بكتابه "الأزرق الداكن" في إقناع شركة الإنتاج ليصنع فيلما أجمع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النقاد أنه من روائع السينما العالمية.

وعلى "الفيس بوك" ومنتديات الإنترنت يتبادل الشباب حاليًا مقاطع شهيرة من الفيلم خاصة تلك التي يراقص فيها آل باتشينو بطلة الفيلم، وكثيرون من عشاق آل باتشينو لا يجدون أروع من دوره في هذا الفيلم، وكثيرون يعرفون آل باتشينو، وكثيرون شاهدوا "عطر امرأة" وحفظوا مشاهده. لكن عدد الذين يعرفون أن مؤلف الفيلم هو"جيوفاني" محدود للغاية، كما أن الذين يعرفون فضل كرة القدم على جيوفاني وآل باتشينو أقل بكثير.

لقد ظل عشاق آل باتشينو ينتظرون حصول نجمهم على الأوسكار لكن دون جدوى، وفى عام 1992 كان عشاق آل باتشينو على موعد مع السعادة وهو يحصل على جائزة الأوسكار كأحسن ممثل عن دوره في عطر امرأة، وهو الدور الذي جسد فيه شخصية "كولونيل" خرج من الحرب مصابًا بالعمى، ويصاب بالإحباط والاكتئاب مع تقدمه في العمر، فيقرر أن يعيش مغامرة المتعة قبل أن ينهى حياته، يقرر أن يرتشف من رحيق العالم آخر قطرة قبل أن يمضى إلى النهاية، ويساعده في القيام بتلك الرحلة شاب جامعي يعيش أزمة هو الآخر، وتمضى الدراما بحثًا عن معنى وهدف للوجود، ويتألق "آل باتشينو" في تأدية رقصة ناعمة مع تلك المرأة التي لم يستطع مقاومة عطرها، وصفق العالم للفيلم وأبطال الفيلم، لكن أحدًا لم يصفق لكرة القدم التي كانت سببًا في تقديم كاتب موهوب إلى السينما، وسببًا في حصول ممثل بارع على الأوسكار وفى متعة محبي السينما أيضًا.

الفصل الرابع

حكايات الفاجومي وجاهين وحداد مع كرة القدم

أنا قلبي كورة والفراوده أكـــــم

ياما اتنطح وانشاط وياما اتعكـم

جاهين

"الكورة واكلة دماغي وباتفرج على ماتشات عمال على بطال زي اللي ماشافش كورة من خمسين سنة." هكذا يعترف الشاعر "أحمد فؤاد نجم" صاحب الشعبية الواسعة والحضور المستمر والأكثر عشقًا وغرامًا بالملاعب والجماهير، والذي ارتبط بعلاقات صداقة وطيدة مع عدد كبير من نجوم البساط الأخضر مثل حمدي نوح، نجم مصر وفريق المقاولون العرب والإسماعيلي السابق، ولشاعرنا الكبير قصة طويلة مع الكرة تبدأ من الستينيات ولا تنتهي إلى الآن مع جيل "عماد متعب وأبو تريكه وشيكابالا".

ويعشق أبو النجوم جمهور الدرجة الثالثة، ويعتبر نفسه واحدًا منهم، ويرى أن هؤلاء -وليس الرجال الشيك الجالسون في المقصورة- هم متعة الكرة الحقيقية. فالغلابة الذين يزحفون من كل صوب حاملين الطبلة والرق وعلى أجسامهم فانلات اللاعبين، هم الصنايعية والعمال والموظفين الذين ينتظرون مواعيد المباريات كي يعيشوا لحظات متعة وفرحة وتصفيق وزغاريد أحيانًا، ومن مدرجاتهم تخرج الآهات والصرخات والأغاني التي تتغزل في الفريق أو في اللاعبين الموهوبين.

ومع أحمد فؤاد نجم لن تستطيع أن تفعل شيئا سوى الإنصات، فهو حكاء بارع ليس فقط في سرد قصص المعتقلات والمظاهرات، لكنه

٢٧٠٥٨١٨٦٥٨
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أكثر براعة وهو يروي حكايته مع الساحرة المستديرة، تلك الحكاية التي بدأت مع صعود وتألق قطبي الكرة "الأهلي والزمالك" في مصر المحروسة ومع عبقرية الكابتن محمد لطيف الذي قدم الكرة للمصريين من خلال برنامج رياضي في التليفزيون المصري حين كان هذا الجهاز الخطير لا يزال يحبو، فارتفعت شعبية اللعبة الجميلة المجنونة، وهام بها المصريون عشقًا بشكل هيستيري فأصبحت خبزهم اليومي، وكما يروى الفاجومي فقد سيطرت اللعبة على الشارع المصري وتعلقت عيون الناس بنجوم الكرة لدرجة أن تلك الظاهرة شغلت علماء الاجتماع، حيث تعددت اجتهاداتهم وتفسيراتهم وأقيمت الندوات بينما كان الناس يواصلون الفرجة والتشجيع بإصرار واستمتاع.

ومع هزيمة 5 يونيو 1967 العسكرية المهينة، يقول نجم، انقطعت المتعة وغاب جيل كامل من نجوم الملاعب أذكر منهم الآن: "المايسترو صالح سليم وسيد الضظوى ورفعت الفناجيلى وحمادة إمام ونبيل نصير وعصام بهيج وسمير قطب ورضا وشحتة والعربي وأنوس والجوهري والشربيني وشحتة الإسكندراني وعادل هيكل ورأفت عطية وطه إسماعيل وأمين رشدي والديبة وسعد راشد وعلاء الحامولى.."، ويتوقف الفاجومي، ويقول "وافتكر كده كفاية، لأن أنا عقلي مش دفتر وما يقدر عالقدرة إلا الله القادر".

ويرى نجم أنه رغم وجود اللعبة وشعبيتها خلال فترة السبعينيات الثمانينيات، إلا أن الصحوة الكروية في الشارع لم تعد كما كانت إلا بعد وصول المنتخب المصري إلى نهائيات كأس العالم، ويقول: "الكابتن محمود الجوهري فكر الناس بالكورة تاني ووصلنا معاه لنهائيات كأس العالم في إيطاليا سنة 1990، وإحنا اليومين دول في صحوة كروية ولسه بنقول تاتا خطى العتبة، وها هي الإثارة تعود إلى الدوري المصري، ودي أهم عناصر المتعة والإثارة في المجنونة بنت المجنونة كرة القدم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اللعبة الشعبية الأولى في العالم، رغم أنف الألعاب الأرستقراطية، وأنا أعترف بأن الكورة لسه واكلة دماغي وباتفرج على ماتشات عمال على بطال زى اللي يكون ماشافش كوره من خمسين سنة مثلاً، وأي حد بيتفرج على الكورة المصرية دلوقتي لازم حيشم عطر أبوتريكة وبركات والحضري وحسنى عبد ربه وشيكابالا وعماد متعب وعمرو زكى، لكن أنا رأيي إن دول فعلاً جيل ذهبي على المستوى المحلى والقاري، لكن دول مجرد بداية لإبداع مصري قادم بقوة في إمبراطورية الـ«فيفا» عشان يعيد ترتيب الأوراق ويضع الأمور في نصابها لأننا تاني دولة مارست لعبة كرة القدم في التاريخ المعاصر بعد إنجلترا الدولة الأم التي اخترعت اللعبة، يعنى اللي إحنا فيه دلوقتي أقل من حقنا بكتير، لكن إحنا نقدر بإذن الله، ومصر ولادة، وهنشوف عشرين أبوتريكه وخمسين من كل من بركات وحسنى عبدربه وشيكابالا".

وأبو النجوم أو الفاجومى أو شاعر الشعب "أحمد فؤاد نجم" مغرم بكرة القدم، يتغزل فيها وفى "حرفنة" لاعبيها كما عاشق ينسج لمحبوبته قصائد حب وهيام لا تنتهي، وللأهلي في نفس أحمد فؤاد نجم مكانة خاصة، يحفظ أسماء لاعبيه الجدد والقدامى، ويراهن على عناصر جديدة.

وأبو النجوم لا يحب كرة القدم ولاعبيها فقط، لكنه، وباعتباره فنانًا، يحب "جماهير" كرة القدم أيضًا، يتأمل هتافاتهم ويكتب كثيرًا مشاركًا لهم فرحتهم إذا فاز الأهلي، ومنتقمًا من اللاعبين المتخاذلين الذين "سمنوا" وبقوا زي "الحلاليف" إذا خذلوه وخذلوا الجماهير وخرجوا مهزومين هزيمة مخجلة لا تليق بحب جمهور عاشق نام ليلة باكية وغاضبة.

وحفظ الفاجومي عشرات الهتافات والأغاني التي صنعها جمهور الكرة وعشاق الفانلة الحمراء تحديدًا، بل إنه نفسه ابتكر هتافات، لكن هتافًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واحدًا أصاب عمنا أحمد فؤاد نجم بالدهشة والفرحة والإعجاب، فمن يملك نفسه أمام هتاف رائع يقول فى غنائية مشحونة بجنون العشق : (يا أهلي يا حبي .. يا حتة من قلبي)، وكيف لشاعر كبير يعشق الأهلي بنجومه القدامى والجدد مثل أبو النجوم أن يكتفي بالإعجاب ويترك هذا الهتاف الذي يشبه قصائد العشق الصوفي دون كتابة عنه؟! أبو النجوم لم يكتب فقط عن الهتاف الرائع، لكنه وفى لحظة جنون فاجومية الهوى اختار الهتاف عنوانًا لكتاب صدر مؤخرًا عن دار الشروق، ليتحول الهتاف إلى قصيدة أو ملحمة كبرى خلدها نجم، وفى الكتاب يحسد أبو النجوم لاعبي الكرة الجدد الذين كان هذا الهتاف لهم، يحسدهم ويترحم على أيام النجوم الكبار الذين رحلوا دون أن يستمتعوا بكل هذا الجمال أو ينعموا بفيلات وشاليهات الساحل الشمالي ومارينا ومراقيا "لامؤاخذة"، والأخيرة نقلاً عنه.

ولم نعرف شاعرًا في تاريخ العامية المصرية كان مولعًا بالكرة مثل نجم، صحيح أن شاعرنا الكبير صلاح جاهين أحب الكرة لكنه لم يكتب عنها سوى في رائعته "الرباعيات" حيث جعل القلب مثلها تمامًا، تتقاذفه الأرجل في تصوير بديع لقسوة الحياة على البشر فى أحيان كثيرة:

Telegram:@mbooks90

أنا قلبي كورة و الفراودة أكـــــــم

ياما اتنطح وانشاط وياما اتعكـم

وأقول له كله حينتهي في المعـــاد

يقول:بساعتك؟ ولا بساعة الحكـم؟

وعجبي!!!

وهذا الجزء من الرباعيات يكشف وعيًا من جاهين بمفردات كرة القدم فهو يستخدم مفردات"الفراودة، والحكم".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكان الشاعر "فؤاد حداد" قد استخدم أيضًا تعبيرًا مشابهًا فى قصيدة له بعنوان "القهوة":

القهوه تحب كنكة

والكنكة تحب كُنبة

والكنبة تحب قعدة

مبسوطة مربعة

وكنا أربعة

أنا وانتِ وأنا وانتِ

*****

باقول لك إيه باقول لك

حاجيب حاجات قديمة

قلبي كورة شراب

نلعب ولا ما نلعب

فرحت لنا المدينة

وإمبارح في التراب

أنا وانتِ وأنا وانتِ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الخامس

أنيس منصور: كم أنت محظوظ يا لاعب الكرة!!

"أشعر بالندم ،على كل السنوات التي مضت دون الجلوس في المدرجات أصرخ وأصفق وأهتف لكرة القدم"

أنيس منصور

"لم يُعرف عن الكاتب الكبير أنيس منصور حبًا لكرة القدم، ولا عشقًا للاعبيها حتى إنه لا يعرف اسم لاعب واحد في أي فريق." قد تكون تلك العبارة نصف الحقيقية، لكنها ليست الحقيقة كلها، ومن يقول غير ذلك فمن المؤكد أنه لا يتابع كتابات "أنيس منصور" متابعة تليق بها وبحجم كاتبها، بل إننا نظلم كاتبنا الكبير إن اعتقدنا أنه لا يحب الكرة ولا يهتم بها، فالكرة بجنونها وسحرها وقوانينها وفنونها وشعبيتها الجارفة وأموالها المتدفقة تسكن كلماته، تفرض نفسها عليه فيخضع لها طائعًا، بل إنه أحيانًا يلجأ إليها ليصف أعقد حالات الفوضى السياسية.

وعلاقة أنيس منصور بالساحرة المستديرة مثل علاقته بأشياء كثيرة لا يستطيع الوقوع في غرامها فتتحكم في عقله وتسيطر على تصرفاته، ويعجز عن كراهيتها حتى لا يفقد الكثير من المعرفة بثقافات الشعوب وهواياتهم وتأثير اللعبة على مصائرهم .

الحقيقة أن كاتبنا الكبير تعامل مع كرة القدم باعتبارها مقياسًا ومعيارًا لكثير مما يدور حولنا في عالم السياسة الصاخب، وعالم الحب الصاخب أيضًا، حتى في مقولاته الساخرة الجميلة التي يلخص فيها عصارة فكره وثقافته ووعيه وخبراته بالبشر نجده يحشر كرة القدم؛ حتى بين الزوجين، فيقول: "أن يكون لك طفل فأنت أب، أن يكون لك أكثر فأنت حكم في مباراة فاشلة"، و"الحب: مباراة يلعبها اثنان ويخسرها اثنان

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أيضًا!".

التاريخ الذي صنعه أنيس منصور لنفسه باعتباره أحد أهم كتاب الأعمدة اليومية في مصر، لم يمنعه من البحث لنفسه عن رياضة يمارسها، وقد لعب الكرة في الصغر، وتركها دون ندم، وعندما كبر بحث لنفسه عن رياضة يمارسها فاختار رياضة ذهنية هي "الشطرنج"، وحاول أن يتقدم فيها ولم يستطع، فيقول: "وكنت إذا لعبت مع أطفال الأسرة يغلبونني، واشتريت كتبًا ودرست وبرعت في فتح اللعب بالحصان والطابية، ولا أكاد أصل إلى منتصف رقعة الشطرنج حتى يسهل حصاري وكش الملك!".

وفى مرحلة متأخرة اكتشف أنيس منصور أن المتعة الحقيقية هي كرة القدم، فجماهيرها متألقة طول الوقت وتشعر بالبهجة والفرحة، وكتب مقاله الرائع: "العب العب ليطول عمرك"، وقال الكاتب الكبير المعجون بالفكاهة والحنكة والدهاء والموهبة، والذي وثق فيه الرئيس السابق محمد أنور السادات وجعله بمثابة وزير خارجيته الخاص وحامل رسائله إلى العالم: "مسكين كل إنسان لا يحب كرة القدم. هذا اقتناعي أخيرًا. إنني أندم اليوم على كل السنوات التي مضت من دون أن أضيعها في الجلوس في الملاعب أو في المدرجات أصرخ وأصفق وأهتف للكرة تنطلق يمينًا وشمالاً، تهز الشبكة أو تهز الثلاث خشبات. عندما تكون هناك مباراة، يسبقها الكلام والاستعداد النفسي والانتقال إلى الملاعب في السيارات والأتوبيسات، ثم الانتظار ساعات في الملاعب؛ حيث الهواء منعش والشمس مشرقة، والضحك لسبب ولغير سبب وحيث يسحب كل واحد احتياطيه من القوة والحماس ويضعه في عينيه وأذنيه ويديه. وفى الوقت نفسه يشرب ويأكل ويضحك ويرتفع صدره ويمتلئ بالصحة والعافية، يتحول كل إنسان إلى كائن حي شاب منتعش، وتمضى الساعات وهو يصرخ ويصفق، ويغضب ويقف ليجلس ويتحول من دون

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قصد، أو بقصد إلى طفل صغير. كم ساعة تمضي من كل يوم ساعات وأيام وشهور وسنوات وهو في غاية الحيوية والنشاط. جسمه قد نفض كل متاعبه، وعقله قد طرد كل الهموم وسقط عنه كل شيء كأنه تراب أو هباب وأصبح مغسولا نظيفًا نقيًا ثم إن كل مناقشاته ومنازعاته وخلافاته تمثيل في تمثيل؛ لأن الرياضة لا تعرف الكراهية والحقد وأرجوك بعد ذلك أن تنظر إلى وجوه السياسيين والكتاب: أنت لا ترى عليها إلا الهم والغم الذي يطيل ألسنتهم وأقلامهم ويقصف أعمارهم؛ فأقصر الناس عمرًا أكثر الناس همًا، وأطولهم عمرا أكثرهم لعبًا أو تفرجًا على اللاعبين. ثم إنها -أي هذه الدنيا- لا تساوى شيئًا. اسمعها مني وعلقها في أذنيك، وسوف تنساها. ولكن عندما تتمدد أمام الطبيب سوف تحسد مجانين كرة القدم.".

وعلى هذا النحو سارت علاقة الفيلسوف والكاتب الوجودي الأكثر حبًا وعشقًا للحياة مع كرة القدم، يغازلها ويحبها أحيانًا، ويسبها ويلعنها أحيانًا أخرى، ويهرب منها في أحيان كثيرة، وقد هرب بالفعل من مشاهدة مباراة مصر مع إنجلترا في نهائيات كاس العالم 1990، وذهب لمشاهدة عرض للأزياء!!

وقد لعنها ونقم عليها متعجبًا ومندهشًا من الملايين التي تتدفق على هؤلاء اللاعبين بينما يموت الأدباء الكبار من الجوع!، وهي قضية قديمة شغلت كثير من المثقفين والمفكرين، فقد كان أستاذنا توفيق الحكيم يندهش كيف أن لاعب كرة القدم يكسب الملايين في سنة وسنتين، ويظل كل الأدباء يموتون ولا يكسبون في مائة سنة ما يكسبه لاعب بحذائه في مباراة واحدة!!

ولذلك مات توفيق الحكيم وبقيت قولته الشهيرة: "انتهى عصر القلم وبدأ عصر القدم"، مع أن الذي رآه توفيق الحكيم وأوغر صدره على الذين يكسبون بالحذاء لم يكن إلا مبلغًا تافهًا، مقارنة بملايين الدولارات التي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يكسبها اللاعب حاليًا، ولو علم توفيق الحكيم بكل هذا، كما يقول أنيس، لعجل ذلك بوفاته. ونحمد الله أنه لم يعلم بكل ذلك، وأستاذنا العقاد والمفكر العربي البديع أبو حيان التوحيدي كلاهما عاش فقيرًا ومات كذلك. وأبو حيانٍ يطلب من الأمير: سيدي أذلني بعطفك، قتلني الجوع فلا تقتلني بالصمت".!

وقد اختتم أنيس هذا المقال بعبارة تجعلك تخلع القبعة ليس فقط للموهبة ولكن للثقة، وللقدرة على التعامل مع تلك الأمور بسهولة ودون شعور بالغبن، وكأنه يهون الأمر على الحكيم: "إنها سلعة يا أستاذ. إنها بضاعة. سلعتك وبضاعتنا، وسلعتهم وبضاعتهم، مطلوبة مرغوبة.. وسلعتنا الكاسدة".!

بيكهام وبيليه

ويرى صاحب 200 يوم حول العالم، والذي طاف مدن وقرى وعواصم العالم أن كرة القدم أصبحت قوة اقتصادية، وأن البرازيل صنعت من أولاد الشوارع ثروة قومية، وأنه مطلوب منا جميعا البحث عن مواهبنا وتشجيع لعب الكرة: "شوارع أمريكا اللاتينية مخصصة لكرة القدم, ففي البرازيل وحدها عشرة ملايين طفل يلعبون في الشوارع, وإذا أراد أحد الأندية أن يبحث عن جوهرة سوداء ارتاد الشوارع، وفى العام الماضي, توقف بيليه الجوهرة السوداء في أحد الشوارع يتفرج علي طفل يلعب, هذا الطفل ذكره بشبابه, فحمله في السيارة هو وأبويه إلي أحد الملاعب الكبرى, وتعاقد الأب مع النادي, وانضم الطفل الموهوب إلي أطفال آخرين في النادي يحتضنهم ويربيهم ويطعمهم ويسقيهم ويتعاقد من أجلهم مع أندية أوروبية تشترى هذه المواهب بعد سنوات، فكل نجوم كرة القدم اللاتينية أولاد شوارع ويشرفهم ذلك.".

وينصح الآباء بعدم القلق على مستقبل الأبناء، ووجه إليهم نصيحة بعد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أن قرأ في صحيفة التايمز البريطانية موضوعًا يقول: لا تشغل بالك كثيرًا بمستقبل أولادك. لا تضرب ولا توجع دماغك وقلبك. المستقبل المضمون هو أن يعمل أولادك في مناجم الحديد أو صناعة الصلب فأغنى أغنياء بريطانيا رجل هندي صناعته استخراج الحديد وبيعه صلبًا. أما النصيحة الثانية فهي أن تترك أولادك يلعبون كرة القدم؛ فاللاعب بيكهام من أثرياء بريطانيا. وهناك غيره لاعبون تجاوز عددهم 25 لديهم أموال في البنوك تتراوح بين 15 مليون جنيه إسترليني و40 مليونًا، ولبيكهام قصة مع أنيس منصور، ففي صيف عام 1998، علقت إحدى الكنائس الإنجليزية لافتة على بابها مكتوب عليها: "الرب يسامح الجميع، حتى ديفيد بيكهام"، أما سبب ذلك التعليق الغريب فكان ما اقترفه نجم إنجلترا المدلل في حق فريقه في نهائيات كأس العالم ذلك العام بفرنسا عندما تعرض للطرد في مباراة إنجلترا أمام الأرجنتين في الدور الثاني مما أدى إلى تأثر المنتخب الإنجليزي الذي خسر اللقاء بركلات الترجيح من نقطة الجزاء بعد أن كان متقدما بهدفين مقابل هدف واحد.

وعلى الرغم من أن بيكهام لم يكن يستحق الطرد وفقا لآراء العديد من متابعي المباراة، فإن خروج المنتخب الإنجليزي من البطولة كان كافيًا لجعل البعض من أنصار المنتخب المتعصبين يطالبون بحرمان نجم مانشستر يونايتد من التمثيل الدولي مدى الحياة، ولكن كل هذا تغير عشية وضحاها، عقب إصابة بيكهام، حيث تحول إلى نجم شعبي في إنجلترا والعالم، وحزن أنصار الساحرة المستديرة في العالم كله بعد إصابته في مباراة مانشستر يونايتد أمام ديبورتيفو لاكورونا الأسباني في قبل نهائي بطولة دوري أبطال أوروبا، وكانت الإصابة تهدد بعدم مشاركة النجم الكبير في نهائيات كأس العالم، ولتعجيل شفائه أقام الأطباء خيمة طبية لبيكهام في منزله ذات مواصفات خاصة، كتب عنها أنيس يقول: "الخيمة ثمنها ستة آلاف جنيه إسترليني، ولها موتور، هذا

الموتور مهمته أن يدخل الهواء, وقد أنقص الأوكسجين من21% إلى 15% تمام كالهواء الذي يشمه الناس على ارتفاع 15 ألف قدم, ونقص الأوكسجين له حكمة, وهو أنه يجعل الجسم ينشط في إنتاج كريات الدم الحمراء التي تنقل الأوكسجين إلى العضلات, وبذلك تعجل بشفاء اللاعب الكبير.".

وكتب أنيس منصور عن المعلق الشهير "ميمي الشربيني" عبارات مدح تستحق من المعلق الشهير أن يعلقها على صدره:"أنظر إلى حالنا في كرة القدم, أستمع إلى المعلقين, وأختار من بينهم الكابتن ميمي الشربيني, فمن المؤكد أنه أخطأ طريقه إلى الملاعب, وكان من الممكن أن يكون كاتبًا أو رساما, فعنده تعبيرات مبتكرة وكثيرة, وهو يخترعها فورًا.".

ومع ذلك لم يسلم "الشربيني" من غمز ولمز كاتبنا الكبير خاصة وهو يمنح اللاعبين الألقاب، وهذا الأمر أثار غيظ أنيس منصور فكتب: " .... نحن في زمن يقال فيه للاعب الكرة: يا بطل, يا عبقري, يا اللي ما حصلتش، يا اللي ما جبتوش ولادة, يا عظيم, وربنا يخليك لمصر كلها....

إذن فهؤلاء الدراويش من المعلقين الرياضيين قد جعلوا معاني البطولة والعظمة والعبقرية كرات يضربونها بالجزمة كل يوم في وجوه وآذان الناس, لا هم تعبوا ولا الناس اعترضوا, والمثل يقول: كل شيء عند العرب: صابون .. رغاوي .. فقاقيع!!, يعنى هؤلاء اللاعبون المفاعيص لهم كل صفات الإسكندر وصلاح الدين ونابليون وتشرشل وكل عظمة شكسبير وشوقي والعقاد وطه حسين والحكيم وعبد الوهاب، ولابد أنك سمعت المعلق الشربيني وأدهشك: كيف لا يخجل مما يقول؟".

ويلجأ صاحب "أرواح وأشباح" إلى الساحرة المستديرة ليستشهد بها كلما زادت الفوضى السياسية، خاصة مع انتشار صحف المعارضة في مصر انتشارًا غير مسبوق، فيرسم صورة كاريكاتورية رائعة، ويقول:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لم نعد في حاجة إلي حكم أو صفارة ولا حاجة لنا إلى العلامات علي الأرض، ولا أن يجلس الجمهور في مكان بعيد عن اللاعبين. وإنما نزل اللاعبون إلى أرض الملعب وجلس اللاعبون في مقاعد المتفرجين وتعددت الصفافيرِ وتعدد الحكام. ولم نعد نعرف من الذي يلعب مع من، ومن الذي يتفرج علي من، ولا أين هو القانون الفاصل بين الحق والباطل والغالب والمغلوب. فقد أصبحت رؤوس اللاعبين هي كرات نضربها ونشوطها ونلقي بها خارج الملعب.".

هل رأيت خفة دم أروع من تلك التي وصف بها أنيس واقعًا متجهمًا؟!

كرة القدم عند أنيس منصور عالم متكامل، ليست مجرد كرة تتقاذفها الأقدام فتطيش واحدة وتسكن الأخرى الشباك، بل هي: "لذة شعبية, ومزاج قومي. ففي كرة القدم كل ما يريد الإنسان، أن يكون له رأي وأن يقف إلى جوار الذين يؤيدونه في الرأي. وأن يتعصب وأن ينافس الآخرين، وأن ينتصر عليهم، وأن يهرب من التعب والإرهاق في العمل أو في الفكر إلى حمام بخار اسمه: ملاعب كرة، وفى السنوات الأخيرة ظهرت نظريات في تفسير جنون كرة القدم الذي يشغل الشباب عن اللذات الرفيعة كالأدب والموسيقى والفن، ورأى علماء آخرون أنه لولا كرة القدم, لغرقت الكرة الأرضية في الحروب والصراعات الجنسية واللونية والعنصرية والدينية.".

من هنا يشتاط "أنيس منصور" غيظا من اللاعبين الكسالى الذين لا يعرفون حجم النعيم الذي يعيشون فيه، ويشتاط غيظا من اللاعبين الذين يهرعون نحو حكم المباراة عقب هزيمتهم ليحملوه نتيجة تراخيهم وعجزهم.

وفى مباريات منتخبنا الوطني التي يسميها كاتبنا الكبير "المباريات الكبرى" نجده يكتب عن الكرة كما لو كان ناقدًا رياضيًا كبيرًا، فعقب

هزيمة منتخبنا أمام منتخب تونس في إحدى المباريات، قال أنيس إن غياب الروح والشعور المسبق بالهزيمة وراء النتيجة: "وقد شكا معلق التليفزيون من أن الجمهور نائم وكأنه ليس موجودا، أو كأنه قد أحس بالنتيجة قبل وقوعها. وأذكر حادثة تاريخية عندما جاء بيليه وفريقه إلي مصر، وشكا اللاعبون والنقاد من أن الشعب المصري قد غبئ تماما لقبول هزيمة بيليه. وفي الوقت نفسه تحطمت معنويات اللاعبين المصريين قبل المباراة، أي انهزموا قبل أن يلعبوا"، وقال إن لدينا عيوبًا يجب إصلاحها:

"إن اللاعب المصري ثقيل الوزن بطيء الخطى قصير النفس. أي أنه من ناحية اللياقة ليس لائقا. وهذه القضية يجب أن تشغل بال خبراء الكرة ومديريها ومدربيها. أما الفريق التونسي فأكثر حيوية وشبابا وثقة بالنفس.".

وبالتالي راح أنيس منصور ومثل كبار النقاد يقول إنه علينا أن نتقبل الهزيمة حتى وإن كانت ثقيلة: "لا أطالب، ولا يملك أحد، أن نأتي بلاعبين جدد. وإنما فقط ألفت النظر إلى أن الرياضة: هات مكسبا وخد خسارة، كالكرة مرة هنا، ومرة هناك. ومرة في الشبكة، ومرة في العارضة ومرة في الآوت. طبيعي، ولذلك يجب قبول الهزيمة الثقيلة بروح رياضية، إن بقيت هناك روح، والله أعلم!".

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

الفصل السادس

إحسان عبد القدوس يكتب قصة الفتاة اليونانية التي سرقت قلب ساحر الكرة المصرية

"عاش عبد الكريم صقر قصة غرائبية فقد أمتع الجماهير بلمساته ومهاراته على البساط الأخضر، بينما تعثرت خطواته في الحياة، بعد أن عاش تجربة عاطفية ملتهبة تشبه قصص السينما والروايات"

لم تكن كرة القدم يومًا مجرد لعبة يقع في عشقها الجمهور، لم تكن يومًا مجرد "لعبة" تنتهي مع صفارة الحكم في كل مباراة، لكنها بشر وقصص وحكايات، فهؤلاء الذين يضربون رؤوسهم في الثلاث خشبات، ويندبون حظهم كلما ضاعت من بين أقدامهم فرصة تسجيل هدف، والذين يتطايرون فرحًا ويرقصون سعادة والكرة تسكن الشباك، قد تتعثر بهم الحياة، وقد يبكي بعضهم، وينكسر، وقد يخسر كل شيء في لحظة واحدة، وقصة عبد الكريم صقر نموذج صارخ على كل ذلك، فقد عاش قصة غرائبية جعلت كاتبًا رقيقًا ومبهرًا مثل إحسان عبد القدوس يكتب عنها، يكتب قصة لاعب كبير أمتع الجماهير بلمساته ومهاراته على البساط الأخضر، بينما تعثرت خطواته في الحياة، بعد أن عاش تجربة عاطفية ملتهبة تشبه قصص السينما والروايات، قصة مكتملة العناصر الدرامية لا تحتاج سوى كاتب موهوب كي يسجل وقائعها.

من أين نبدأ تلك القصة الشجية التي تشبه الأساطير؟ هل من الملعب حيث الساحر الصغير؟ أم من الإسكندرية وهوى الإسكندرية حيث تلك الفتاة اليونانية الجميلة التي نجحت في سرقة قلب لاعب شهير، فضحى بالعالم كله وخسر حياته كلها من أجل عيونها الفاتنة؟

لا فرق، البداية تستحق التوقف والنهاية، رغم مأساويتها، تستحق أن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تكون مدخلاً مناسبًا، فها نحن في ثلاثينيات القرن العشرين، وها هو الفتى الذي لم يبلغ الخامسة عشر من عمره يسحر القلوب وينتزع آهات الجماهير وهو يراوغ المدافعين وحارس المرمى كي يعاود المراوغة مرة ثانية قبل أن يلمس الكرة لمسة خفيفة لتحتضن الشباك.

في حي العباسية ولد عبد الكريم صقر عام 1921، وفى شوارعها الفسيحة آنذاك، والتي شهدت طفولة كثير من عباقرة مصر وعلى رأسهم نجيب محفوظ، لمع ذلك الفتى، كان موهوبًا موهبةً غير عادية، ويمتلك مهارات لا يمكن وصفها، تفتحت عيناه فوجد كل أقاربه وأصدقائه يلعبون الكرة وأهمهم محمود مختار صقر لاعب الأهلي، وابن عمه المقرب إليه ممدوح صقر، ولذلك كان من الطبيعي أن يجرى حب الكرة في دمه فشهدت شوارع العباسية نبوغه وعبقريته: "كان خير من "غزَل"، بشدة على الزاي، فريقًا بأكمله، وكانت لعبته المفضلة أن يصل إلى المرمى فيخرج حارس المرمى ليلقاه فيقوم بتغزيله!! وبدلا من أن يضع الكرة في المرمى الخالي يرجع ثانية ليقوم بتغزيل حارس المرمى وربما أحد الظهيرين قبل أن يضع الكرة في المرمى!!" كما يقول الكاتب الكبير عبد الرحمن فهمي.

ولعب خال عبد الكريم، طلعت باشا حرب مؤسس بنك مصر والأب الروحي للاقتصاد المصري، دورًا مهمًا في عشق الساحرة المستديرة حيث كان يشجعه ويقدم له الهدايا، ومن تلك الأسرة العريقة بدأت نجومية عبد الكريم صقر في لقاء مدرسته فؤاد الأول الثانوية أمام مدرسة السعيدية وأحرز هدف فوز فريقه ببراعة فائقة، وكان هذا الهدف بداية مرحلة نجومية جديدة فقد شاهده الراحل محمود التيتش فأدرك برؤيته الفنية الفذة وخبرته قيمة هذا اللاعب الصغير، فضمه إلى النادي الأهلي وتولاه بالرعاية الفنية، ولكن الحظ العاثر وقف حائلاً أمام عبد الكريم صقر في أول مباراة يلعبها مع الفريق الأول، فأصيب بإحباط

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شديد لولا مساندة التتش الذي أصر على إشراك النجم الصغير في اللقاء الثاني مباشرة لفريق الأهلي وكان أمام الزمالك، وانتهى اللقاء لصالح الأهلي خمسة لواحد، وأحرز عبد الكريم صقر هدفين صالح بهما جماهير الأهلي التي حملته على الأعناق.

بعدها أصبح "كرم"، كما لقبته الجماهير، هو الساحر الذي يمتلك قدرات غير عادية في التحكم بالكرة؛ خاصة حين يراقصها على رأسه لفترات طويلة بمنتهى البراعة، فأطلقوا عليه لقب "الحاوي"، وكما يقول عبد الرحمن فهمي فقد كان بامكان كرم أن: "ينطّق" الكرة على رأسه مائة مرة بالرهان، مائة مرة وعمره ما خسر الرهان مهما حاولوا معاكسته. وكان يستطيع أن تظل الكرة في حوزته عشر دقائق، وعشر دقائق في كرة القدم مدة طويلة جدًا جدًا، لأنه كان يجيد أن تنزل الكرة من فوق رأسه ليلتقطها بفخذه ثم قدمه ثم قدمه الأخرى ثم رأسه وهكذا، ولطالما استعرض عبد الكريم صقر منفردًا أمام الملك ورؤساء الحكومات، وكان هذا النبوغ وراء تحقيق المعجزة، حيث شارك في دورة برلين الأوليمبية عام 1936، وكان في الخامسة عشرة من عمره فاعتبر أصغر لاعب يشارك في هذا الاوليمبياد، كما شارك "كرم" في دورة لندن الأوليمبية عام 1948، وكان من أوائل اللاعبين الذين خاضوا تجربة الاحتراف في الخارج مع صديق عمره محمد الجندي حيث سافرا معًا إلى انجلترا، واحترف بنادي "هيدرزفيلد" قبل أن يعود لمصر ثانية، وفى عام 1957 اعتزل "كرم" لكن أحدًا لم ينس موهبته، فطلبوه في المناسبات والمهرجانات الرياضية ليقدم فواصل كروية يستعرض فيه مهاراته وقدراته في التحكم بالكرة.

تستطيع أن تعتبر كل ما مضى جزءا من الحياة، صفحة رآها الجميع مكتوبة بفن اللعبة وسحرها، أما هناك على ظهر تلك الصفحة فحياة أخرى حافلة بالعشق والانكسار والهزيمة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في الإسكندرية، وعلى شواطئها بدأت القصة مع تلك النظرات التي اخترقت قلب عبد الكريم صقر، كانت فتاة يونانية قيل إنها راقصة محترفة بالملاهي الليلة وقيل غير ذلك، لكن الثابت أنها طاردت لاعبنا الشهير، تعقبت خطواته في كل مكان حتى وقع في غرامها فنسى الدنيا كلها وأصبحت هى كل شيء، ومثل لاعب كبير أضاع فرصة ذهبية فضرب رأسه بالعارضة، راح "كرم" يصوب الكرات خارج المرمى وراحت الفرص الذهبية تضيع واحدة تلو الأخرى، ومن هنا تخيل إحسان عبد القدوس قصة عبد الكريم صقر الذي كان يتقاضى خمسمائة جنيه شهريًا، في ذلك الوقت الذي كان يتقاضى خلاله رئيس وزراء مصر راتبا لا يزيد عن مائة جنيه شهريًا!، وكان البيت المصري المتوسط يكفيه طوال الشهر خمسة جنيهات فقط.

بدأت الفتاة تستنزف "كرم" وتدفقت أمواله عليها، ولم يستطع أن يتخلص منها وكأن "نداهة" قد جذبته إلى عالمها فنسى شهرته وحياته وتاريخه وتسرب الدمار إلى أسرته وانفصل عن زوجته السيدة " ليلى لبيب" التي رفعت ضده دعاوى قضائية كثيرة للحصول على نفقة شهرية كبيرة وحكمت لها المحكمة بالفعل بـ 23 جنيه شهريًا للإنفاق على نفسها وعلى أطفالها، وكان مبلغًا ضخمًا آنذاك، وطعن "صقر" في الحكم، ورفض الدفع فتراكم عليه المبلغ حتى وصل إلى 1500 جنيه، وصرخ في المحاكم بأعلى صوته بأنه لا يمتلك هذا المبلغ، وأنه يعيش في منزل صديق له بالإسكندرية وكان هذا في عام 1958، لكن زوجته أكدت أنه أضاع كل ما كسبه من الكرة مثل فلوس الاحتراف وكذلك ما ورثه بعد وفاة والدته وكان يقدر بحوالى 13 فدانًا على الفتاة اليونانية التي غرق في حبها وانفق عليها كل ما يملك.

وقد عاش عبد الكريم صقر بعد ذلك لسنوات طويلة في ضيق من العيش، وعندما تعرض لأزمة صحية خلال فترة الثمانينات من القرن

المسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العشرين، وعلم بذلك الدكتور عبد الأحد جمال الدين رئيس المجلس الأعلى للشباب والرياضة الأسبق أمر بدراسة حالته ومساعدته ماديًا عن طريق المجلس تقديرًا لتاريخه الكروي، كما خصص له نادى الزمالك معاشًا شهريًا كان يكفيه بالكاد.

وكتب إحسان عبد القدوس القصة متصوزًا أو متخيلاً أن قدم اللاعب الشهير خانته في مباراة دولية هامة فاحتضن القائم وسقط داخل المرمى بدلاً من الكرة، وحملوه إلى المستشفى، ودخل في غيبوبة ليتذكر أمجاده القديمة.

وبذلك صنعت الكرة قصة أضيفت إلى التاريخ الأدبي بعد أن كتبها إحسان عبد القدوس صاحب بعض أشهر الأعمال الروائية في تاريخ الثقافة العربية: مثل "في بيتنا رجل"، "أنف وثلاث عيون"، "أبى فوق الشجرة"، "الخيط الرفيع"، "أنا حرة"، "دمي ودموعي وابتسامتي"، "الطريق المسدود"، "بعيدا عن الأرض"، "بئر الحرمان"، "العذراء والشعر الأبيض"، "لا أنام" ، "الوسادة الخالية" ، "أين عمري"، "لا تتركني هنا وحدي"، "النظارة السوداء"، "صانع الحب"، "الرصاصة لا تزال في جيبي"، "الراقصة والسياسي"، وغيرها الكثير من الأعمال الأدبية التي تحولت إلى أفلام سينمائية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل السابع

فهمي هويدي: لعبت مع الجوهري وكرهت الكرة بسبب النكسة

في عشق الساحرة المستديرة تسقط كل الأفكار الجاهزة، وتسقط كل مقاييس السياسة وحدودها وتوجهاتها على البساط الأخضر، حيث تتقافز الكرة وتتعالى صيحات الجماهير، لا وجود للخلافات السياسية، هناك تصبح "المتعة" بديلاً عن الصرامة والجدية

قد يكون طبيعيًا أن تستهوي الكرة وقصص لاعبيها كاتبًا مرهفًا في قامة إحسان عبد القدوس، لكن المفاجأة أن نجد كاتبًا سياسيًا يعترف بعشقه للَعبة الأشهر التي يتصور البعض أنها لا تشغل عقل المفكرين، فهنا في عشق الساحرة المستديرة تسقط كل الأفكار الجاهزة، وتسقط أيضًا كل مقاييس السياسة وحدودها وتوجهاتها.

هنا على البساط الأخضر حيث تتقافز الكرة وتتعالى صيحات الجماهير لا وجود للخلافات السياسية أو أي كلام كبير، هنا تصبح "المتعة" بديلاً عن الصرامة والجدية.

وهل هناك دليل على ما نقول أكبر من هذه المفاجأة التي سنكتشف معها أن كاتبًا مثل فهمي هويدي كان لاعبًا لكرة القدم وأحد عشاقها؟

يصعب على كثيرين أن يتخيلوا هذا الأمر، فالصورة الذهنية السائدة عن هذا الكاتب تجعله بعيدًا عن الكرة، فالرأس المسكونة بالاستراتيجيات الفكرية، والطلعة التي تتميز بالصرامة والجدية يصعب أن تكون كرة القدم في حساباتها.

ولكن تعالوا نترك أي تصورات من هذا النوع، وأي اتفاق أو اختلاف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مع أفكار أصحابها. تعالوا نترك ساحات الجدل والتطاحن ونعيش متعة الكرة، يقول فهمي هويدي: "حببني أبو تريكة في كرة القدم مجددًا، ورغم علاقتي بها التي توترت حينًا وانقطعت في حين آخر، ففي المرات التي أتيح لي أن أتابعه فيها كنت أجده لاعبًا ماهرًا ينزل إلى الملعب وكأنه مقدم على نزهة وليس معركة، ويتعامل مع الكرة باعتباره صديقًا لها وليس لاعبًا بها، وأحيانًا كنت أجده فنانًا يغازل الكرة ويغزل بها، في حين يبدو غيره، وكأنهم شلة فتوات سلطهم مدربهم على الفريق الآخر. لقد أعادني أبو تريكة بأدائه ومواقفه إلى مقاعد مشاهدي كرة القدم، حتى ضربت صفحًا عن ذكرياتي القديمة معها، حين كنا، ونحن تلاميذ في الابتدائية نلاعب فريقًا من أبناء المنطقة التي نسكنها بحلوان، وقفزت لأضرب الكرة برأسي فإذا بي اصطدم برأس لاعب في الفريق الآخر وتشج رأسانا، فنسقط وقد كست الدماء وجهينا، الأمر الذي استوجب إجراء عدة غرز في جبهة كل واحد منا لا يزال أثرها باقيًا عندي حتى الآن، وكان اللاعب الآخر الذي شج رأسه هو الكابتن محمود الجوهري الذي أصبح فيما بعد مديرًا فنيًا للمنتخب المصري لكرة القدم.".

ويواصل هويدي: "هذه الحادثة أصابتني بعقدة من كرة القدم في وقت مبكر نسيتها وتجاوزتها بمضي الوقت، لكن العقدة تجددت مع هزيمة يونيو 1967، التي لا أعرف لماذا أصابتني بالزهد في الرياضة كلها، بحيث انقطعت عن مشاهدة مباريات كرة القدم وبعد مضي عقد أو اثنين عدت إلى مشاهدتها بصورة متقطعة في أوقات الفراغ، إلى أن ظهر أبو تريكة في الأفق.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثامن

فاروق شوشة: الساحرة المستديرة ضيف ممتع على لغتنا الجميلة

"كرة القدم في حياة الجماهير العريضة على مستوى العالم هي متعة وإثارة وانتماء وجنون وتعصب وأحزان وأفراح"

شوشة

أنا البحر في أحشائه الدر كامنٌ .. فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي

وهل هناك من ينسى صدى هذا الصوت يرن في الأذن وهو يقدم برنامجه الخالد "لغتنا الجميلة"؟ إنه الشاعر والإعلامي الكبير فاروق شوشة، الذي كان مقدرًا له أن يولد في قرية اسمها "الشعراء" بمحافظة دمياط، فأصبح فخر الشعر لأبناء قريته قبل أن يكون شاعرا عربيا يفيض عذوبة وشجنًا يناسب شخصيته الأكثر رقة وخجلاً.

شاعرنا فاروق شوشة كان له مع كرة القدم نصيب وافر، ليس فقط باعتباره صبيًا صغيرًا يلعب مع أقرانه في القرية قبل أن يلتحق بكلية دار العلوم، ولكن باعتباره مهمومًا باللغة العربية ولهجاتها. فشعبية كرة القدم تعتمد اعتمادًا أساسيًا على "المعلق أو المذيع" الذي قد يجعل المشاهد يبحث في القنوات التلفزيونية عن صوت آخر يكون أكثر تفاعلاً مع المباراة، أو يترك "الريموت" ويجلس يستمتع بالمشاهدة وبالصوت واللغة، وبما أن كرة القدم هى اللعبة الشعبية الأولى في مصر والعالم فإن رسالة المذيع تصل إلى الملايين، ومن هنا انشغل شاعرنا بكرة القدم.

الذين قرأوا أشعار فاروق شوشة ولمسوا الحزن الساكن في حروف القصائد، يصعب عليهم أن يتخيلوا هذا الشاعر مشغولاً بالساحرة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المستديرة، فالشاعر الذي يقول لوالده في قصيدة شجية وحزينة:

منكسرًا أعدو إليك
أشكو سراب رحلتي
وغربتي ووحدتي
محتميًا بما لديك من أبوتي
ولم يزل في صدرك الرحيب متسع
وفى نفاذ الضوء من بصيرتك
جلاء ظلمتي وكربتي

قد يبدو بعيدًا عن عالم البساط الأخضر، والذين شاهدوه يستضيف طه حسين ونجيب محفوظ ويوسف إدريس وثروت أباظة وباقي رواد الثقافة المصرية في برنامجه الشهير "أمسية ثقافية" يصعب عليهم تخيله جالسًا يستمتع بمباراة في كرة القدم، ولكن ها نحن نضبطه متلبسًا بعشق الساحرة المستديرة وبالكتابة عنها، صحيح هو اهتمام بلغة المعلق ومفرداته التي يستخدمها، بحكم تخصص شاعرنا في اللغة وانحيازه لها، لكنه غاية في الأهمية كما سنرى.

بداية، يرى فاروق شوشة أن كرة القدم في مجال السياسة من أفضل السفراء, فهي تفعل ما تعجز عنه الحكومات, وفى مجال الاقتصاد يراها احترافًا وصفقات وعالم خاص من إدارة المال, من هنا فقد تجاوزت حدود اللعب والمنافسة والمتابعة لتكوّن عالمًا خاصًا بها، وكرة القدم، كما يقول شوشة، في حياة الجماهير العريضة على مستوى العالم كله هي متعة وإثارة وانتماء وجنون وتعصب وأحزان وأفراح.

وكان شاعرنا هو الوحيد الذي سلط الأضواء على كتاب مهم للغاية

CamScanner المسوحة ضوئيا بـ

للباحث والعالم الدكتور محمد محمد داود أستاذ الدراسات اللغوية والخبير في مجمع اللغة العربية، وكان هذا الكتاب هو الأول في مجاله حيث يربط مؤلفه بين كرة القدم واللغة.

وقد وضع فاروق شوشة أيدينا على هذا الكتاب النادر الذي يتقصى بداية التعليق الرياضي ويبحث في كيفية تطوره ويتوقف أمام نجومه ومشاهيره بداية من الحامولي إلى الشربيني.

ويشير الكتاب إلى أن التعليق على مباريات كرة القدم بدأ اجتهادًا، ونشأت الحاجة إليه مع اختراع الراديو فأصبح تقديم وصف تفصيلي للمباريات لجمهور المستمعين جزءًا من الرسالة الإعلامية للإذاعة، ومن الرواد الأوائل في التعليق الإذاعي على مباريات كرة القدم "محمود بدر الدين" الذي وصفه ميمي الشربيني بقوله: تسمع منه وكأنك ترى، وعندما ظهر التليفزيون أضاف الصورة إلى الصوت, وأخذ التعليق بعدًا جديدًا, فقد أعفى المعلق من تقديم تفاصيل تغطى غياب الصورة في الإذاعة, لكنه حمّل المعلق الرياضي مسئولية تقديم وصف يتفق مع جو المباراة ويتسق مع الصورة التي تراها وتتابعها عين المشاهد, الذي لا يقبل وصفًا هزيلاً لمشاهد مهمة وأحداث قوية, كما حمّله مسئولية الخروج عن نمطية الكلمات المكررة التي يحدث بسببها الملل من سماع المعلق, ولأن لغة التعليق ارتجالية تحكمها المفاجآت المباغتة لأحداث المباراة, فإن المعلّق الناجح هو الذي يكون مرآة لمستوى المباراة الفني.

واكتشفنا مع فاروق شوشة وعبر صفحات كتاب الدكتور "محمد محمد داود" أول مدرسة للتعليق الرياضي من خلال التليفزيون المصري والتي ظهرت علي يد شيخ المعلقين الكابتن محمد لطيف, صاحب التعبير المشهور الذي يدور حتى الآن على ألسنة الجماهير والمعلقين: "الكورة اجوان"، وبعد الكابتن لطيف ظهر العديد من الشخصيات البارزة في التعليق مثل الكابتن على زيوار والكابتن إبراهيم الجويني والكابتن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حمادة إمام والكابتن محمود بكر وصولاً إلى الكابتن ميمي الشربيني، الذي يصفه المؤلف بأنه أمير المعلقين بعد أن قفز التعليق الرياضي على لسانه قفزة هائلة ورائعة, حيث أضاف إلى إبداع الكرة إبداعًا لغويًا لافتًا للانتباه، ولا يملك من له حس لغوي إلا أن يقف معجبًا مشدوهًا أمام هذه التعبيرات التي يبدعها ويمتعنا بها.

ويرى شاعرنا فاروق شوشة أن دراسة كالتي قام بها الدكتور داود من شأنها الترويج للغة في مجال خطير له فعل السحر في ألسنة الناس لشيوعه وتعلق الناس به, والناس هنا جمهور يعد بالملايين، لذلك فإن الرقي بلغة المعلق الرياضي, مطلب مهم وضروري, لأنه النجم الذي يؤثر في الناس, والذي تُعجب الجماهير العريضة بألفاظه وأساليبه, ويمكنه النهوض والرقي باللغة.

وكلما اتسمت لغة المعلق بالصحة والسلامة والجمال واختيار الكلمات والتعابير كانت أكثر تحقيقًا لهذا الهدف اللغوي الرياضي المأمول، ولأن التعليق الرياضي رسالة إعلامية فإن المؤلف يتحدث عن مراعاة المقام, أي استخدام اللغة المناسبة للموضوع, ومراعاة الحالة النفسية, ووضوح الرسالة والإيجاز الذي يتضمن التحديد والتركيز علي الهدف, والتشويق والإثارة فالمعلق فنان، بل فنان كبير.

وفى مجال لعبة كرة القدم يورد المؤلف مئات المفردات والتعابير الشائعة على ألسنة المعلقين, من بينها: "ارتداد, مراوغة, زحلقة, تسديدة, صد, صاروخ, تصويبة, قذيفة, تمرير, تمويه, جملة تكتيكية, جملة مفيدة, جون طبعة أولى, حس كروي, التحكم في الكرة, الاستحواذ على الكرة, استلم برشاقة الغزال, صاروخ أرض جو, ضربة خلفية مزدوجة, غمز الكرة, فتح البرجل, كتم الكرة, كرة بينية, كرات ثابتة, كرة مختومة بالشمع الأحمر, كرة لا تصد ولا ترد, كرة عابرة للقارات, كرة بمقياس 6 ريختر, لمسة سحرية, لمسة واحدة, تمريرة ساحرة, فتح اللعب, تمريرة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قاتلة, ملعب مفتوح, اللعب المقفول, تهدئة اللعب, دوري المظاليم, تصفيات, كر وفر, لعب جماعي, الوقت المستقطع (بدل الضائع), تسلل, طرد, اعتراض, رمية تماس, ركلات الترجيح, ضربة ركنية, ضربة مرمي, كارت أحمر, كارت أصفر, هدف تاريخي, هدف مباغت, الهدف الذهبي, هدف بتوقيع فلان, هجمة مرتدة, هز الشباك, حائط بشرى, دفاع المنطقة, تكتل دفاعي, ثغرة دفاعية, تشتيت, تعادل إيجابي, تعادل سلبي, هزيمة من العيار الثقيل, مباراة من شوط واحد, مباراة عصبية, مباراة ثأرية, مباراة ودية, سيمفونية كروية.".

وفي مجال وصف اللاعبين نجد: "البلدوزر, الثعلب, الحريف, المحترف, الدبابة, المدفعجي, الساحر, المعلم, الفنان, القناص, اللعيب, الماكر, المجري, المايسترو, النحلة, النفاثة, المهندس, أحد مفاتيح اللعب, أحد البنوك المتحركة, أسير دكة البدلاء, بعيد عن الفورمة, مثلث الرعب ... وغيرها".

ويرى شوشة أن دراسة التعليق الرياضي من هذه الناحية إنما يؤكد عظمة اللغة العربية ومرونتها وعصريتها واستيعابها كل جديد في مجالات الحياة المختلفة وقدرتها على التطور والوفاء باحتياجات العصر.

والمعروف أن شاعرنا الكبير فاروق شوشة عمل بالإذاعة المصرية مذيعًا ومقدما للبرامج قبل أن يصبح رئيسًا لها (1994- 1997). وفى الشعر أصدر خمسة عشر ديوانًا منها: "إلى مسافرة ، العيون المحترقة، لؤلؤة في القلب، في انتظار ما لا يجيء، لغة من دم العاشقين، يقول الدم العربي، عشرون قصيدة حب، سيدة الماء، وأحبك حتى البكاء". وله أربع مجموعات شعرية للأطفال: حبيبة والقمر، مَلَك تبدأ خطوتها، الطائر الصغير، الأمير الباسم".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل التاسع

د.عبد المنعم سعيد: كرة القدم صنعت جيلاً جديدًا يعشق الحياة

إذا أردت أن تصل إلى قلوب المصريين بسرعة الصاروخ حدثهم عما يحبون: عن الموالد والصبر والقدرة على التحمل، ولا تكل ولا تمل من الحديث عن كرة القدم.

هل كرة القدم عبث؟ إنها ليست كذلك بل هى جيش عظيم قادر على تحقيق الانتصارات للشعوب وعلى تغيير خريطة العالم، ونقل بلد فقير إلى قائمة الدول الكبرى، وهل كانت كونداليزا رايس وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة تعبث حين حثت فريق بلادها القومي على أن يبذل مزيدًا من الجهد؟! وهل كان توني بلير رئيس الوزراء البريطاني يعبث عندما ترك اجتماعات القمة الأوروبية كي يشاهد مباراة للفريق الإنجليزي! .. لا بل كان يقوم بمهمة سياسية من الطراز الأول.

ليست عبثًا؛ فكرة القدم بجماهيرها وفرحتها ومهرجاناتها تمثل حياة كاملة. وتستطيع أن تقرأ ملامح مستقبل وطن بأكمله من خلالها، هل في ذلك مبالغة؟! عمومًا، هذا ليس كلامي. لكنه قراءة وتحليل لواحد من أهم الكتاب والمفكرين بل ورئيس مجلس إدارة مؤسسة الأهرام، ورئيس مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية.

استراتيجي!!

وهل يمكن لباحث "استراتيجي" يستخدم المناهج العلمية الدقيقة أن يشجع كرة القدم، أو يشاهد مبارياتها؟ في الفصول السابقة رأينا أدباء وشعراء وفلاسفة يكتبون عن الكرة ويهيمون بها عشقًا، ولكن هل تصل الكرة إلى مرحلة "الاستراتيجية "؟!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نعم يا صديقي ،والدليل هو "د. عبد المنعم سعيد "،الذي لا يشجع الساحرة المستديرة ويتابع مبارياتها فحسب، بل إنه يجعلها بوصلةً يقرأ من خلالها توجهات الجماهير، وعدسة مكبرة تكشف له ملامح مجتمع كامل.

الكرة ليست عبثًا يا صديقي، وقد أدرك هذا الكاتب تمامًا أن الأفكار الكبرى يمكن تمريرها بسهولة وخفة إذا كان عالم كرة القدم مدخلها، لذا كتب د.عبد المنعم سعيد العديد من المقالات عن الساحرة المستديرة، فهنا على البساط الأخضر يستطيع الكاتب الماهر أن يجعلك شريكًا تفكر معه وتصل إلى قناعاتك باختيارك، وهناك حكمة خالدة تقول: إذا أردت أن تصل إلى قلوب المصريين بسرعة الصاروخ حدثهم عما يحبون: عن الموالد والصبر والقدرة على التحمل، ولا تكل ولا تمل من الحديث عن كرة القدم.

من ينسى فرحة المصريين عام 2008 عندما حصلنا على كأس الأمم الإفريقية وخروج مئات الألوف إلى الشوارع في كل مدن وقرى مصر؟ من ينسى الساحر أبو تريكة بعد هدفه في مرمى السودان وهو يجري أمام عدسات مصوري العالم رافعًا شعار "تعاطفًا مع غزة"؟ من ينسى طعم الفرحة وشكلها الذي كان غريبًا وجديدًا على مصر والمصريين بعد العودة بكأس البطولة.

كان الحدث في مجمله يحمل دلالات كثيرة غير ما رأيناه في المدرجات من ظهور الجميلات ومن تواجد الأطفال بين أحضان العائلة وهم يزينون خدودهم الجميلة بألوان علم مصر، وانعكست الفرحة التي استمرت حتى صباح اليوم التالي على سلوك المصريين جميعا كما يكتب عبد المنعم سعيد: "وخلال هذه الساعات كانت مصر آمنة بأكثر من أي يوم مضى حيث لم تحدث حادثة واحدة، ولا جرى تصادم واحد، وعاد

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

الناس إلى بيوتهم بالفرحة والسعادة كما لم يحدث منذ وقت طويل".

إن عبارة عبد المنعم سعيد الأخيرة "عادوا إلى بيوتهم" تلخص لك معنى الرضا بذلك الانتصار وبتلك الحالة التي سيمتد تأثيرها إلى أبعاد أخرى أكثر عمقًا. ،

ترى هل كان الحصول على كأس الأمم الكأس للمرة الثانية على التوالي والمرة السادسة منذ بدأت البطولة في الخرطوم عام 1957، فقط وراء هذه الحالة التي اجتاحت مصر كلها؟!

يجيب عبد المنعم سعيد في مقال "مصر والمصريون .. وكرة القدم" قائلاً: "... من يعرف التاريخ فإن الخروج المصري هذه المرة لم يكن جديدًا، فقد جرى مثله في مرات سابقة عندما حصل المصريون على كأس أفريقيا أو عندما ذهبوا إلى كأس العالم، ولكن الجديد كان في شكل المصريين سواء من حيث الملبس أو الشعارات والأغاني والأهازيج والشارات والعلامات. وببساطة كان هناك جيل مصري جديد يعلن عن نفسه تحس عندما تشاهده أنه يفعل ذلك من خلال وعي كامل بأنه سوف يكون على كل شبكات التلفزيون العالمية والعربية والمحلية، هو جيل الفضائيات والكومبيوتر والمدونات والتليفون المحمول والتواصل الكوني والعولمة. فلم يكن في الأمر صدفة إطلاقًا أن كثيرًا من اللافتات كانت مكتوبة باللغة الإنجليزية".

نحن إذن أمام جيل جديد، ليس فقط في المظهر والشكل الاجتماعي بل في الوعي السياسي أيضًا، وهذا ما يريد عبد المنعم سعيد أن يصل إليه، فنحن أمام جيل يفكر بطريقة مختلفة ويتعامل مع قضايا السياسة بروح جديدة ترفض التطرف والمغالاة بشكل فطري، نحن أمام متغيرات كبيرة في الرؤية للأحداث، وهل كرة القدم تصلح مقياسًا لكل ذلك؟!

قبل أن تجيب، عليك أولاً أن تتذكر ما صاحب البطولة من أحداث،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ففي ذلك التوقيت (فبراير 2008) كانت غزة تئن مجددًا تحت الحصار الإسرائيلي، وكانت أصداء اغتيال "عماد مغنية" أحد القادة العسكريين البارزين في حزب الله تسيطر على الموقف، وكان السيد حسن نصر الله وفريق "الحرب المفتوحة"، التي تنتهي دومًا بخسارة فادحة، يواصلون الوقوف أمام الكاميرات لإصدار البيانات عن "دحر العدو وإلقائه في البحر". أحداث ملتهبة، والملايين تخرج تلطم الخدود وهي تشيع عماد مغنية، يقول عبد المنعم سعيد: "..ولكن المشهد الذي جرى في مصر يوم العاشر من فبراير كان مختلفًا تمامًا، فلم تخرج الملايين من أجل جنازة كما يجري في لبنان، ولا خرجت مئات الألوف لأنها عجزت عن توفير الغذاء والدواء كما حدث في غزة، ولا خرج الناس بالأعداد الغفيرة من أجل ثورة تزأر بهتافات السقوط للنظام واستنكار ارتفاع الأسعار، ولكن حدث ذلك نتيجة فوز في مباراة في كرة القدم. ومن الناحية العملية فقد استولت الجماهير المصرية على الشارع المصري منذ تمكن «الساحر» محمد أبو تريكة من تسجيل هدفه في مرمى الكاميرون حتى صباح اليوم التالي عندما وصل الفريق القومي المصري إلى الأراضي المصرية.".

هل يعنى ذلك يا دكتور عبد المنعم أن المصريين لا يهتمون بالقضية الفلسطينية؟! لا يذرفون الدمع ويعلنون التضامن وينشغلون بأنفسهم عنها؟!

ستكون مخطئًا لو اعتقدت ذلك، فالمصريون وعبر التاريخ تحملوا وحدهم مرارة القضية ودفعوا الثمن مقدمًا من أرواح أبنائهم ومن اقتصادهم والشرح يطول في هذا الأمر، لذا فقد أدركوا حقائق كثيرة وبالتالي فإن تعاملهم مع القضية وتداعياتها جرى على نحو مختلف، ويقدم لك "د.عبد المنعم سعيد" مشهدين يجسدان هذا الوضع، الأول يخص المصريين بوجه عام فيكتب: "لاحظ هنا أن بطولة الأمم الأفريقية جرت في ذات الوقت الذي جرت فيه أحداث غزة بكل تداعياتها المعروفة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وغير المعروفة؛ ولاحظ هنا أيضًا أن المباريات كانت تجري بالتوازي مع مصائب قومية تمثلت في وفاة علمين من أعلام مصر الناقد الأدبي رجاء النقاش والكاتب مجدي مهنا. وفى الحالتين كان على المصريين أن يعطوا انتباهًا خاصًا كانٍ حاسمًا وقاطعًا فى حالة غزة: نعم للعون الإنساني للأشقاء ولكن لا لجعل الحدود المصرية سداحًا مداحًا".

في حين يرصد المشهد الثاني موقفا خاصا بالساحر أبو تريكة الذي تصرف بعفوية المصريين:"وعندما فعلها أبو تريكة خلال مباراة السودان، وكشف عن قميصه طالبًا التعاطف مع غزة كان يعرف أولاً أنه سوف يسجل هدفًا، وأنه ثانيًا يتحدث إلى العالم أجمع. وعندما رفض «الساحر» بعد ذلك لأن يتحدث مع خالد مشعل الذي اتصل مهنئًا وشاكرًا فإنه كان يعرف تمامًا الفارق ما بين التعاطف الإنساني والتيارات السياسية، كان اللاعب الذي لم يكن سياسيًا قط يعرف الفارق بين الحالة الإنسانية والحالة السياسية التي أدت إليها في المقام الأول تمامًا مثل بقية المصريين الذين كان عليهم التعامل مع القضية الفلسطينية.".

إذن، المصريون يفكرون بطريقة مختلفة الآن، لاحظ معي أن ما كتبه عبد المنعم سعيد كان قبل أن تتكشف حقائق كثيرة تخص حزب الله، وما تبع ذلك من ضبط الخلايا التابعة له في قلب القاهرة، ولاحظ أيضًا أنه في نفس التوقيت الذي كتب فيه هذا المقال، كان معظم المثقفين المصريين أسرى العاطفة الجياشة، ولا صوت يعلو فوق صوت حسن نصر الله!

المصريون الذين خرجوا بعفوية ورفرفت أعلام وطنهم فوق السيارات، وسهروا حتى الصباح لم يكونوا طبقة واحدة أو نخبة أو أقلية دينية، وفرحتهم لم تكن تعبر فقط عن توجه سياسي جديد: "وبقدر ما كان الجيل الجديد له تعبيراته السياسية فإن تعبيراته الأكبر كانت اقتصادية واجتماعية، فمن خرج إلى الشوارع كان أغلبهم من أبناء الطبقة الوسطى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المصرية الجديدة، وهؤلاء إلى جانب الاحتفال بالنصر كانوا يقدمون لحظة وطنية صادقة ترتفع على كل التقسيمات بين الحكومة والمعارضة، والمسلمين والمسيحيين، وتمتزج كلها في سوق رياضية واحدة. وبشكل ما بدا المصريون تدريجيًا وكأنهم يكتشفون علمهم، ومعه يكتشفون تاريخهم لأن فريق «الفراعنة» أصبح فوزا جزءًا من الحاضر. والغريب أن ذلك حدث بدون أي إخلال بالأصالة الحضارية لا العربية ولا الإسلامية، فلا اللاعبون توقفوا لحظة واحدة عن أداء الفرائض، ولا الدعاء لله في ساعات الفوز والحرج ولكنهم، على عكس الأجيال القديمة، كانوا يعرفون الخط الفاصل بين الأصالة والتعصب وبين التدين والتطرف.".

هل يمكن التغني بالأوطان بعيدًا عن طبول الحرب؟ هل تنتهي جماعة الحرب المفتوحة، وتبقى جماعة الحياة المفتوحة؟! وهل مباراة في كرة القدم تستطيع أن تضع تصوزا لتلك القضية الكبرى؟

لا يملك عبد المنعم يقينا مطلقًا، لكنه يضعك معه في الصورة كي تراها بحجمها الطبيعي، يقول :"هل نُحمل الأمور بأكثر من طاقتها في مباريات كرة قدم جاءت وذهبت ومن بعدها سوف تعود الأمور إلى حالها؟ ربما يكون الحال كذلك وسوف تثبت الأيام عما إذا كنا إزاء أمر جديد يجري ليس في مصر وحدها وإنما ممتد عبر المنطقة العربية بأشكال متعددة؛ أو أنه لا يوجد جديد تحت الشمس، وأن منطقتنا لديها قدرة فائقة على إعادة إنتاج نفسها من جديد؟ ولكن ما لا يمكن تجاهله في الظاهرة هو أن هناك عالمًا جديدًا يغالب عالمًا قديمًا بامتداد المنطقة كلها، وبينما لا يزال العالم القديم يحمل فكر الاستقلال وما بعده من قضايا مزمنة لا تعرف حلاً ولا تقدمًا ولا خلاص من أي نوع؛ وفقط تتغير الأسماء والأبطال وجنازات الشهداء، فإن الجيل الجديد يجاهد لكي يجد لنفسه وبلاده مكانًا تحت الشمس. وربما وجد هذا الجيل لنفسه مكانًا في مصر في شكل مناسبة تخص كرة القدم، ولكنه يعبر عن نفسه كل يوم في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

آلاف المدونات الأكثر جرأة وشجاعة في تناول كل القضايا، وفى ميادين الإنتاج والأدب والفن، وذات مرة اشتعل في برنامج «ستار أكاديمي»، وهو منتشر كل يوم فيما نستهلك وما نتفاعل به مع العالم. تعالوا على أية حال نراقب الموقف، ونرى من يقرر مستقبل أمتنا هل جماعة الحرب المفتوحة، أم جماعة الحياة المفتوحة؟".

هذا مقال واحد تستطيع أن تخرج منه بعشرات الأفكار رغم أن البطل هو "كرة القدم"، ولولا ضيق المساحة لاستعرضت معكم مقالات أخرى لعبد المنعم سعيد كانت كرة القدم هي ملعبها الأساسي، وهناك مقال غاية في الأهمية عنوانه: "عن المونديال وغيره: لا غذاء بالمجان إذن..؟" ويتحدث فيه عبد المنعم سعيد عن غضب الشعوب العربية من قرار عدم إذاعة مباريات كأس العالم 2006، ويتطرق فيه إلى "صناعة كرة القدم" وكيف أن العالم كله اكتشف مع مباريات كأس العالم في أتلانتا أن الرياضة سلعة قادرة على توليد المليارات من الدولارات، فحتى ذلك التاريخ كان الظن أن مباريات كرة القدم هي مجرد حالة من حالات الدعاية للدول، سواء تلك التي تنظم البطولة أو تلك التي تلعب فيها، ولكن عندما وصل الأمر إلى أميركا فإن الدولة لم تدفع مليما واحدا، وخرجت الولاية الأميركية بأكثر من مليار دولار من الأرباح.

لكن لا بأس، لقد استعرضنا مقالاً واحدا، ومع ذلك انظر كيف جعل الكاتب كرة القدم عالمًا، كيف جعل الأفكار الكبرى مثل تمريرة زيدان أو أبو تريكة، تمريرة سهلة تضعك أمام المرمى، وعليك أن تختار الشباك .. أو تقذفها بعيدًا في المدرجات.

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

الفصل العاشر

الساحرة المغرورة التي تعشق الدلع والقبلات

"لا تقبل أن يضربها اللاعبون انتقامًا، وتطالب بأن يسمحوا لها بالنوم على الصدور، والرقص على الأقدام والأكتاف"

إدوارد جاليانو

مازلنا معها، ساحرة القلوب المستديرة التي تُعلق العيون بها كلما قفزت، وتصنع الفرحة كلما سكنت الشباك، وإذا كنا عرضنا في الفصول السابقة لأدباء ومفكرين كبار وكيف توقفوا أمامها ليصفوا حلاوتها ومتعتها، فإننا هنا سنتوقف مع كاتب صنع شهرة واسعة بكتاب رائع عن كرة القدم، إنه الكاتب "إدوارد جاليانو" الذي انطلق في كتابه البديع "كرة القدم في الشمس والظل" من مقولة: "قل لي كيف تلعب أقل لك من أنت"، حيث يرى جاليانو أن الثقافة السائدة في المجتمع تنعكس على أداء فريق كرة القدم.

الكتاب تحفة أدبية ترجمة "صالح علماني" وهو نفسه المترجم الأشهر لأعمال أعظم وأهم الروائيين الذين يكتبون بالأسبانية، وعلى رأسهم الكولمبي جابريل جارسيا ماركيز صاحب روايات "مائة عام من العزلة" و"الجنرال في متاهة" و"أجمل غريق في العالم" وغيرها.

ويروي "جاليانو" في الكتاب قصة الكرة وكيف تعلقت بها الشعوب وكيف سجلتها الحضارات واهتم بها القياصرة والملوك، كما يرصد الفرمانات الرسمية التي صدرت من الملوك بشأن كرة القدم، ويتوقف أمام تاريخ ممتد كانت فيه الكرة قصة وحكاية.

يبدأ جاليانو، وهو كاتب وصحفي ورسام كاريكاتير من الأورجواي،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كتابه من تلك الوقائع التي تشير إلى عشق الشعوب للساحرة المستديرة ووصول هذا العشق إلى درجة الجنون أحيانًا فمع انتهاء مونديال 1994، أطلق اسم "روماريو" على جميع الأطفال الذين ولدوا في البرازيل تقريبًا، وتم بيع عشب استاد لوس انجلوس مجزأ في قطع صغيرة مثل البيتزا، ووصل سعر القطعة عشرين دولارًا.

وفي تلك الوقائع كثير من الدلائل التي جعلت الكاتب الكبير يبحث عن أصل اللعبة الأشهر في العالم، ولا أحد يستطيع أن يؤكد تاريخًا محددًا لنشأتها، وإن كان جاليانو يتحدث عن بعض المباريات التي أقيمت خلال الحضارتين اليونانية والرومانية، إلا أنه يؤكد أن الفراعنة عرفوا تلك اللعبة، وهو ما أكدته دراسة صدرت حديثًا للباحثين المصريين "أحمد أبو الحجاج وعبد الرحمن محمود موسى" وأعلن عنها أثناء حفل قرعة كأس العالم للشباب في معبد الأقصر، حيث أوضحت الدراسة أن الفراعنة لعبوا الكرة منذ آلاف السنين، وأن النساء والفتيات الفرعونيات كن يلعبن الكرة بمهارة ورشاقة ليشغلن رجالهن، وقدم الباحثان صورا فوتوغرافية لرسومات فرعونية على جدران المعابد تجسد كيف كان الفراعنة يلعبون كرة القدم.

ويؤكد جاليانو أن كرة القدم وعبر تاريخها ظلت لعبة جماعية تتحدى
Telegram:@mbooks90
القوانين والأعراف وأحيانا تخترق كل القواعد، ففي القرن الرابع عشر ظلت كرة القدم مجرد لعبة يمارسها الرعاع ولا تليق بالنبلاء، حتى جاء زمن الملكة فيكتوريا التي رأت أن كرة القدم تسلية لطيفة تنأى بشعبها عن الانحراف أو الغرق في الملذات الإباحية، كما نظرت إليها نظرة أكثر خبثًا حين اعتبرتها ملهاة للشعب عنها، وفي عهدها لم تعد كرة القدم رذيلة يمارسها الرعاع وحدهم بل فضيلة أرستقراطية توفر للفقراء التسلية وتبعدهم عن الإضرابات والأفكار "الخبيثة "!!

ونعود إلى جاليانو وكتابه الذي يستمر في مسيرة البحث عن أصل

اللعبة حيث يشير إلى أن البعض يرى أن عددا من المباريات أقيمت خلال الحضارتين اليونانية والرومانية، وآخرون يرون أن اللعبة ظهرت في الصين من نحو أربعة آلاف عام، وكانت تسمى "تسو تشو" وكتب أحد المؤرخين أن اليابان عرف كرة القدم منذ أربعة عشر قرنًا مضت وكان اسمها "كيمارى"، وفى رواية أخرى نجد أن الرومان توارثوها ثم نقلوها إلى غرب أوروبا، ثم إلى بريطانيا عندما احتلوها.

ويكتب جاليانو: " كانت كرة الصينيين مصنوعة من الجلد ومحشوة بالقنب، والمصريون في زمن الفراعنة صنعوها من القش أو من قشور الحبوب، ولفوها بأقمشة ملونة، وكان الإغريق والرومان يستخدمون مثانة جاموس، منفوخة ومخيطة، أما الأوربيون في العصور الوسطى وعصر النهضة فكانوا يتنازعون فيما بينهم كرة بيضاوية مملوءة بشعر من الخيول، وفى أمريكا كانت الكرة المشغولة من المطاط قادرة على أن تقفز متواثبة كما لم تكن أي كرة في أي مكان آخر.

أما الكرة المطاطية التي تُنفخ بمنفاخ والمغطاة بطبقة من الجلد، فولدت في أواسط القرن الماضي، بفضل عبقرية "تشارلز جوديير"، وهو أمريكي؛ وبفضل عبقرية "توسولينى، وبالبونسى، وبولو"، وهم ثلاثة أرجنتينيون، تم اختراع الإطار الداخلي المزود بصمام، ومنذ مونديال 1938 صار بالإمكان ضرب الكرة بالرأس دون خوف من الأذى الذي كان يسببه الرباط المستخدم سابقا في ربط الكرة.

وحتى منتصف القرن الماضي كان لون الكرة بنيًا، ثم أصبحت بعد ذلك بيضاء، وفى أيامنا هذه تظهر الكرة في نماذج متغيرة، ولكنها ذات أشكال سوداء فوق خلفية بيضاء، وصار قطر خصرها الآن سبعين سنتيمترا وهى مكسوة بمادة البوليريتان فوق طبقة من البوليتيلين، لا ينفذ إليها الماء، ووزنها أقل من نصف كيلو جرام وتنطلق بسرعة أكبر من الكرة الجلدية القديمة التي كانت تصبح مستحيلة في الأيام الممطرة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واتخذت كرة القدم أسماء متعددة ومتنوعة فيطلقون عليها: الكرة، المكورة، النافعة، المدوة، البالون، القذيفة. ولا أحد في البرازيل يشك في أنها امرأة، فالبرازيليون يقولون عنها "السمينة" ويسمونها "الطفلة"، ويمنحونها أسماء من نوع ماريكوتا، أوليونور، أو مرجريتا.

لقد قبلها بيليه فى استاد ماراكانا عندما سجل هدفه رقم ألف، وديستيفانو أقام لها نصبا عند مدخل بيته، وهو عبارة عن كرة من البرونز مع لوحة حجرية نقش عليها عبارة: شكرا أيتها العجوز.

وفى نهائي مونديال 1930 طالب كل من المنتخبين المتنافسين اللعب بكرته الخاصة، وقد كان الحكم حكيما مثل سليمان فقرر أن يجرى اللعب في الشوط الأول بكرة أرجنتينية وفى الشوط الثاني بكرة أوروجواي، فكسبت الأرجنتين الشوط الأول وكسبت الأورجواي الشوط الثاني، ورغم هذا الوفاء من الكرة لأصحابها، إلا أن للكرة نذالتها أيضا، فهي لا تدخل المرمى أحيانا لأنها تبدل رأيها وهى في الجو وتنحرف عن مسارها، ذلك أنها ساخطة جدًا، فهي لا تطيق أن يعاملوها ركلاً بالأقدام، ولا أن يضربوها انتقامًا، أنها تطالب بأن يداعبوها برقة، أن يقبلوها، أن يسمحوا لها بالنوم على الصدور أو الأقدام، وهى متكبرة، وربما مغترة بنفسها، ولا تنقصها المبررات لتكون كذلك، فهي تعرف جيدًا أن البهجة تملأ أرواحا كثيرة حين ترتفع بطريقة ظريفة، وأن أرواحا كثيرة تختنق بالضيق عندما تسقط بطريقة سيئة.

في كرة القدم، كما في كل شيء تقريبا، كان الصينيون هم الأوائل، فمنذ خمسة آلاف سنة كان البهلوانات الصينيون يرقصون الكرة بأقدامهم، وكان أن نظمت أول ألعاب الكرة في الصين، كان المرمى في الوسط، وكان اللاعبون يسعون ألا تلمس الكرة الأرض، دون أن يلمسوها هم أنفسهم بأيديهم، وقد استمرت هذه العادة من سلالة إلى أخرى، كما

CamScanner المسوحة ضوئيا بـ

يظهر في بعض النقوش التذكارية التي تعود إلى ما قبل المسيح، وكذلك في بعض الرسوم التالية التي يظهر فيها صينيون يلعبون بكرة تبدو كأنها من ماركة آديداس!.

ومن المعروف، أن المصريين واليابانيين في العصور القديمة كانوا يتسلون بتبادل ركل الكرة، وعلى رخام قبر إغريقي يعود إلى ما قبل المسيح بخمسة آلاف سنة، يظهر رجل يلاعب كرة بركبته، ويقال إن الإمبراطور يوليوس قيصر كان يتقن استخدام كلتا ساقيه في لعب الكرة وإن نيرون لم يكن ماهرًا في اللعب.

وشهدت الكرة فترات صعبة، فقد كانوا يعتبرونها رجسًا، وعلى أقدام الرومان القدماء وصلت البدعة إلى الجزر البريطانية وبعد قرون من ذلك، وتحديدا في عام 1314 ميلادية، وضع الملك إدوارد الثاني خاتمه الملكي على وثيقة تدين هذه اللعبة الرعاعية والصاخبة جاء فيها: "هذه الاشتباكات حول كرات كبيرة الحجم، التى تنتج عنها شرور كثيرة لا يبيحها الرب.".

وكرة القدم التي كانت تسمى بهذا الاسم منذ ذلك الحين، كانت تُخلف أعدادًا من الضحايا فقد كانوا يتنافسون في جماعات كبيرة، ولم يكن هناك تحديد لعدد اللاعبين، ولا لمدة اللعب ولا لأي شيء آخر، فقد كان شعبًا بكامله يتبادل ركل الكرة ضد شعب آخر، ويدفعونها بالأقدام والقبضات نحو الهدف الذي كان في ذلك الحين عجلة طاحونة قديمة.

وكان اللاعبون يصطفون علي امتداد عدة فراسخ، ولعدة أيام، وبتكلفة تصل إلى عدة أرواح بشرية، وقد منع الملوك هذه المباريات الدموية، ففي عام 1349، ضم الملك إدوارد الثالث كرة القدم إلى ألعاب "الحماقة التي ليست لها أي فائدة"، وهناك مراسيم ضد كرة القدم ممهورة بتوقيع هنري الرابع في عام 1410، وهنري السادس في عام 1547 ولكنهم كلما

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

كانوا يمنعونها كان اللعب يزداد!.

وفي عام 1592، لجأ شكسبير في مسرحيته كوميديا الأخطاء إلى كرة القدم ليصوغ شكوى إحدى شخصياته "إنني أتدحرج فيما بينكم.. أتراكم اتخذتمونيَ كرة قدم؟ أنتم تركلونني إلى هناك، وهو يركلني إلى هنا، فإذا ما بقيت في العمل فلابد لكم من أن تغلفونى بالجلود".

وفي فلورنسا كانت كرة القدم تسمي كالشو، مثلما تسمى حتى الآن في إيطاليا كلها، وكان ليوناردو دافنشي مشجعًا متحمسًا، وميكيافيلى لاعبًا ممارسًا، وكان يشارك في اللعب فرق من 27 رجلاً، موزعين على ثلاثة خطوط، يمكنهم استخدام الأيدي والأقدام لضرب الكرة، ولبقر بطون خصومهم. وكانت الحشود تتوافد إلى المباريات التي تجري في أوسع الميادين وفوق مياه الأنهار ،وبعيدا عن فلورنسا، فى حدائق الفاتيكان، اعتاد الباباوات أن يشمروا ثيابهم لكي يلعبوا الكالشو.

وكما تقول "بدرية البشر" فان الأحياء الهامشية كانت الأرض البكر التي نشأت عليها تلك اللعبة خاصة وأنها رياضة لا تتطلب نقودًا، ويمكن ممارستها دون أي شيء آخر سوى الرغبة في اللعب، في الحواري، وفى الأزقة.

وعلى الشواطئ كان الفتيان المحليون، والشبان المهاجرون، يرتجلون مباريات بكرة مصنوعة من جوارب قديمة، ومملوءة، بخرق قماشية، أو بورق، فتحولت كرة القدم لهوى شعبي، تتمتع بأقصى درجات الديمقراطية، فهي متاحة للجميع للعامل والسائق، وأشبال الطبقة الراقية.

وكان اللاعبون حتى عام 1872 يلعبون دون حكم وهم حكام أنفسهم، وعند دخول القرن العشرين، وتحديدًا عام 1904 ولدت "فيفا" أي الاتحاد الدولي للكرة التي أدخلت تعديلات كثيرة على الكرة وعلى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قوانينها، وأقيمت أول مباراة في الأمريكتين عام 1906 بين الأرجنتين والأورجواي.

في الكتاب حديث شيق عن اللاعبين الأبطال وأعمارهم القصيرة التي تنتهي عند الثلاثين بآلام الركبة وتمزق في العضلات وكسور في العظام لا تجبر، وأساطير الملاعب أمثال "مارادونا" وقصته التراجيدية في الصعود والهبوط، وأحاديث عن نجوم آخرين مثل: "بيليه، بلاتيني، روماريو، باجيو"، لكن بيليه كان أكثر اللاعبين أسطورية فقد تمكن عام 1961 من تحقيق الهدف رقم ألف الموصوف بخياليه وأسطوريته، ولم يكن أي لاعب قبلها سجل ألف هدف في تاريخ كرة القدم الاحترافية وربما حتى اليوم، وبلغت أهداف بيليه النهائية ألفًا وثلاثمائة هدف، وقصة "بيليه" كإنسان تمثل رمزًا لغالبية اللاعبين والأبطال الأسطوريين في الحياة، فهي قصة البطل الفقير الذي يأتي من بيت فقير ومن قرية نائية ويصل إلى ذروة السلطة والثراء في وقت كان محظورًا فيه على الزنوج دخول الأماكن العامة في البرازيل!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أصدقائي

المثقفون في الملعب

مثل كل البشر في الحياة لديّ أصدقاء، يكتبون الشعر والقصة والرواية ويؤلفون الحكايات ويحفظون القصائد ويقرؤون الفلسفة، لكنهم مولعون بكرة القدم، وعندما استرجع حواراتي معهم والمواقف التي جمعتنا أعرف كم هي عظيمة كرة القدم لأنها "بتقربنا من بعضنا".

وهذا ليس شعارًا إعلانيا، بل حقيقة، فمسموح لأي صديق منا أن يتصل ليغيظ صديقه، ويكدر صفوه بعد المباراة، وفى الاتصال فوائد حتى وإن للشماتة الجميلة.

وأصدقائي أنواع فهناك الأهلاوية المتعصبون, وهؤلاء سيأتي ذكرهم لاحقًا، وهناك زملكاوي فاقد الأمل تمامًا مثل صديقنا الكاتب "حمدي أبو جليل". وهناك الأهلاوي الشيك مثل الكاتب "إيهاب الزلاقي" الذي يحدثك بثقة عن "الواو" التي يصنعها أبو تريكة وكيف أنها تشبه مشهدا سينمائيا رائعا، وهناك الأهلاوي الفيلسوف مثل صديقي الناقد "هاني درويش" الذي يرى أن الأهلي هو المؤسسة الوحيدة في مصر التي تجعل الأمل في الغد قائمًا على باقي المستويات السياسية والاجتماعية، واكتشفت مؤخرًا أن صديقي "سيد محمود " لعب الكرة في مركز شباب حلوان وكان زميلاً لحسام وإبراهيم حسن.

وعمومًا، إليكم بعض القصص والمواقف لتعرفوا أنني على حق عندما أقول: "الكورة بتجمعنا وتقربنا من بعض.".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الأول

اللّباد .. ومحمد هاشم

نموذج لأرخم أهلاوي ممكن يطلع لمشجع زملكاوي!

الرخامة فن. وجمهور الكرة الزملكاوي يعانى معاناة غير إنسانية من هؤلاء "الرخماء جمعاء"، وفنان الأغلفة "أحمد اللّباد" هو بالفعل أرخم أهلاوي ممكن يقابل مشجعا زملكاويا في أي شارع أو استاد أو على أي مقهى، لا يتوقف اللباد عن السخرية مستغلاً قوته البدنية واللسانية، ولا أنصح أي زملكاوي بالاعتراف بزملكاويته أمام اللباد. عليه أن يكتم في قلبه حتى تتحقق نبوءة صديقنا حمدي عبد الرحيم.

كنت مستجدًا في تشجيع الزمالك، ولم أكن قد جربت مشاعر جماهير الزمالك التي تتحمل هزائم موجعة في صبر وقوة احتمال يستحق التحية والاحترام، المهم. انهزم الزمالك وخرج من كأس مصر عام 2008 في مباراة بني عبيد التي أصبحت عارًا يضاف إلى عار الستة، ونمت مهمومًا مكتومًا مغمومًا، واستيقظت على تليفون من اللباد، كان جادًا جدًا، ووقورًا جدًا: "معلهش يا أشرف بطلبك متأخر بس مزنوق في معلومة كده: هي نبيلة عبيد مثلت أفلام مع نور الشريف؟"

حاولت التذكر فرد بسرعة وبنفس الجدية: ولا يهمك، خلاص أنا هادور. طب هي ... نبيلة عبيد يعني من بني عبيد.

وينطلق في الضحك. شوفتوا رخامة زي دي قبل كده؟!

أنا شوفت في واقع الأمر، فهناك فيلسوف الرخامة صديقنا "محمد هاشم" مدير عام دار ميريت للنشر، فهو يتصل بي قبل مباراة الأهلي والزمالك: يا جدع تعالى نتفرج سوا .. ما تخافش الدكتور حسانين عميد مشجعي الزمالك موجود تعالى بس"، وفى كل مرة أذهب ..وفى كل مرة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أجد فخًا مكونًا من خمسة أو ستة أهلاوية، وفى كل مرة ينهزم الزمالك ولا يحميني الدكتور حسانين من ألسنتهم. ويخذلني "عبد الله" الذي يعمل بالدار فهو زملكاوي يكتم إيمانه بالأبيض خوفا من بطش هؤلاء، فلا أجد منه مسانِدة ولا عون وسامح الله الجميع.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثاني

إبراهيم داوود .. وحكاية اللاعب العُماني!

كنا نشاهد مباراة للزمالك أنا وإبراهيم داوود سويًا، وجاءت الكاميرا على وجه مدافع الزمالك "محمود فتح الله"، وبسرعة بديهة وضحكة ساخرة قال إبراهيم داوود: تحس إنه لاعب غماني، وهنا تحولت الجلسة إلى ضحكة كبيرة، الجميع بما فيهم صديقنا الدكتور حسانين الزمالكاوي غرق في الضحك.

وفى إحدى مباريات الأهلي جاءت الكاميرا على وجه حارس مرمى النادي الأهلي اللاعب الفلسطيني "رمزي صالح"، فقال إبراهيم بنفس سرعة البديهة:"تحس إنه ولد على خمس بنات، وبعدين اسمه غريب جدًا" وتكرر مشهد الضحك وبالغت أنا فيه.

وهكذا صديقنا الشاعر إبراهيم داوود، صاحب التجربة الشعرية المهمة، يعشق التفاصيل ويكره التشابه مع الناس، يرى "داوود" مثلا أن "طارق العشري" (مدرب حرس الحدود) هو أهم مدرب في مصر ولو كان الأمر بيده، داوود يعني، لأسند إليه مهمة تدريب منتخب الشباب فوزا، ومن آرائه أن اللاعب حسام غالي أهم من أبو تريكة، وأن اللعب الناشئ أحمد شكري أهم لاعب مصري في الخمس سنين اللي جايين.

وإبراهيم أهلاوي جدًا لكنه رقيق القلب مع الزملكاوية. فهو يصارحك، كزملكاوي، بأنك في موقف لا تُحسد عليه، فلا تناطح، واستسلم واسكت!.

وعندما تولى حسام حسن مهمة تدريب فريق الزمالك، نوفمبر 2009، بعد إخفاقات غير مسبوقة جعلت الفريق يهبط إلى ذيل جدول ترتيب الأندية، أعلن إبراهيم داوود أنه سيشجع الزمالك لثلاث مباريات مقبلة على الأقل حبًا في حسام حسن، ورغبة في إشعال المنافسة، فالمتعة

تكتمل بالصراع على نقطة واحدة وليس على أكثر من عشرين نقطة!!.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثالث

كدث أفقد حياتي على مقهى الطالبية بسبب بلال فضل

السعادة التي يشعر بها السيناريست والساخر الكبير "بلال فضل" كلما ورّط صديقا في مقلب تؤكد أنه بني آدم غتيت ورخم، وربما دموي أيضًا، وعلى مقهى الطالبية رفع بلال فضل صوته فجأة موجهًا الكلام لي: "بص يا عم أشرف كله إلا جمهور الأهلي، قول اللي أنت عايزه عن اللاعيبة. لكن عند جمهور الأهلي والزم حدودك. أديني بقول لك، إلا جمهور الأهلي"!.

وهذه الأخيرة راح يرددها في حدة واتكهرب الجو وفوجئت بجمهور الأهلي على القهوة يتدافع نحوي، واقترب أحدهم مني حتى كاد إصبعه يدخل في فتحة أنفي: "بقول إيه يا أستاذ .. القهوة دي ما بيقعدش عليها زمالكاوية، واللي يقعد .. يقعد محترم".

كل ذلك يحدث وأصدقائي "الأنذال" غارقون في الضحك على منظري وأنا مبلول أمام الأخ المتحفز، وكادت المسألة تخرج عن حدودها، لدرجة أن المتحفزين رفضوا الاستماع لكلام صديقنا الناقد الرياضي "إبراهيم المنيسي" رغم أنهم استقبلوه بنظرات حفاوة وابتسامات، وتبادلوا معه بعض الحوارات القصيرة عن النادي وأحواله، باعتباره مذيعا معروفا بقناة الأهلي، ولم ينقذني سوى الوقور المحترم صديقنا "أسامة سلامة" الذي تحدث بطريقته المهذبة حتى أقنع الأهلاوية بصعوبة بأننا كنا "بنهزر"، وأنني أهلاوي صميم!!

وهدأ الجو وأخذت نفسًا عميقًا، وانطلقت سبًا ولعنا في بلال واللي خلفوه. بينما الدموع تسيل من عينيه .. ضحكًا وليس شيئًا آخر.

كان الصديق حمدي عبد الرحيم قد اقترح أن نلتقي نحن الأصدقاء مرة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أول كل شهر في شقة الصديق "عماد حسين" القديمة بالطالبية، كنوع من الحنين إلى الماضي الأليم، فشقة عماد حسين ومعها شقة الصديق سعيد شعيب شاهدا عيان على أيام المرمطة والبهدلة، وفيهما تشارك أبناء جيلنا آلام الجوع وتبادلوا الشكاوى من رؤساء التحرير.

وفى تلك الليلة التي لا تنسى التقينا: "بلال فضل وعماد حسين والكاتب الجميل محمد على خير وإبراهيم المنيسى وحمدي عبد الرحيم وأسامة سلامة الذي يحمل لقب "نصف نبي"، وبعد أكلة السمك المعتادة نزلنا بربطة المعلم لنشرب الشاي على القهوة، وجرى ما جرى من المدعو بلال فضل، الذي عاش تجربة مماثلة مع جماهير الزمالك بعد فيلم "سيد العاطفي" والعبارة الشهيرة التي كانت ترددها عبلة كامل: "خدوا ستة رايح .."

وبلال فضل أهلاوي معقرب ولدغته والقبر مباشرة، ولا يحتمل أعتي عتاولة الزمالك لدغة واحدة من هذا الأهلاوي سليط اللسان. وبين يدي واحد من تلك المقالات المسمومة التي كتبها بلال فضل، وأنصح كل زملكاوي ليس فقط بقراءة المقال، ولكن بالتفكير في طريقة مناسبة تجعل بلال فضل لا يكتب ثانية بهذه الطريقة أو تجعله لا يكتب نهائيًا.

المقال بعنوان: "الهزيمة اسمها فاطمة ... وفاطمة زملكاوية" واقرا يا سيدي وشوف: "عندما هُزم الزمالك كالعادة أمام الأهلي وخسر فرصة التأهل لبطولة كأس العالم للأندية بادرني كل أصدقائي الزملكاوية، وهم كثيرون لحسن حظي وسوء حظهم، بما يلزم من تسفيه لهذا الفوز وحط من شأن بطولة الأندية ووصفها بأنها بطولة ودية تافهة ليست لها أية قيمة وأنهم في منتهى السعادة لأنهم لم يشاركوا فى بطولة مثل هذه أساسًا، لأنهم أناس لا يحبون أن يهزموا خارج بلادهم فالهزيمة داخل الوطن وبس.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعندما اقترب موعد مشاركة الأهلي في البطولة ظهرت عليهم أعراض الأخوة الوطنية الكاذبة التي تظهر لديهم كلما شارك الأهلي في بطولة أفريقية أو عربية، حيث يبتسم الزملكاوي منهم ابتسامة صفراء وهو يقول محاولًا إخفاء مرارته: "ربنا يوفقوا طبعًا أنا بأدعي لكو مش عشانكوا عشان مصر اللي بتلعب، أنا هروح الماتش وارفع علم مصر"، وما إلى ذلك من الشعارات الخادعة التي تسقط مع أول جون يدخل في الأهلي، حيث تجد الجالسين بجوارك وقد فشلوا في أن يتحلوا برباطة جأش رأفت الهجان وهو يستمع إلى خبر النكسة، فيخفوا فرحتهم خلف قناع من الأسى، على العكس ستجدهم وقد طاروا إلى السماء وخبطوا في مراوح السقف شاكرين مهللين، دون أن يكلفوا أنفسهم عناء التفكير في مبرر يقولونه لك إذا سألتهم عن الوعود الرئاسية بالتضامن التي قطعوها لك طيلة الأيام الماضية. بالطبع أعذر دائما الزملكاوية عندما يفعلون ذلك، فبداخلهم تراث طويل ومرير من الحقد على الأهلي الذي لطالما سكعهم نتائج مدوية ومهينة فأصبح لديهم رغبة في أن يروه جريحًا أو مهزومًا أو متعثرًا، حتى لو كان ذلك بأيدي غير أيديهم المجذوعة، ولذلك وبعد معايشة نكتهم لوعودهم أصبحت أعلنها مازحًا ومكايدًا وساخرًا لكل أصدقائي الزملكاوية: "سأشجع أي فريق يلعب ضدكم في أي مباراة مهما كانت تفاهتها أو أهميتها، لن أداهنكم وأعلن أنني أتمنى لكم الفوز وأجلس معكم على القهوة كعبد الله بن سلول أكتم بداخلي مشاعر الشماتة والتشفي، لا سأرد لكم الصاع صاعين، وسأجرب مشاعر أبى بن خلف وأنا أراكم تهزمون شر هزيمة من أي فريق منافس مهما كانت جنسيته، لكني لن أخون وطني تمامًا فلن أشجع ضدكم فريقا إسرائيليا لو فرضنا أنكم ستلعبون يومًا مع فريق إسرائيلي، لو حدث ذلك فلن أشاهد المباراة أساسًا مكتفيًا بدعوة الله أن يولي من يصلح، وأن يتعرض الملعب لهجوم من كتائب شهداء الأقصى، كما حدث في ميونيخ، وعندها ستستحقون ذلك لأنكم خرجتم عن الإجماع الوطني ولعبتم مع

Telegram:@mbooks90

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إسرائيل، سأترحم عليكم وأدعو الله أن يغفر لكم ثم اسأل: "هو قبل ما الماتش يخلص الزمالك كان مغلوب؟"

لا تلوموني على هذه المشاعر الساخرة الفجة المخاصمة للتضامن الأخوي ومواثيق اللعب النظيف؛ فالمكالمات التي تلقيتها من أصدقائي الزملكاوية، وعلى رأسهم الحاقد عمرو سليم عقب هزيمة الأهلي من اتحاد جدة كفيلة لاتخاذ قرار متطرف مثل هذا قد يشعل النار بين أبناء الوطن الواحد، ويؤدي إلى فتنه كروية مشابهة لفتنة محرم بك. ولست مريضًا نفسيًا لكي أعتبر نفسي جدعًا لأنني أشجع فريقا يعشق الهزائم كعينيه، ومن الآخر، أنا أشجع الكرة لكي يكسب فريقي، ولذا خرجت إلى الدنيا فوجدت أهلي يشجعون الأهلي، كغالبية المصريين البسطاء الذين كان كافيًا لهم ما يعيشونه من إحباطات ومعاناة في الحياة، فاختاروا أن يمنحهم الأهلي سعادة أسبوعية، لذلك لا أستطيع أبدا أن أفهم كيف يشجع الفقراء الزمالك، أفهم أن يشجعه غني أو مبسوط أو شخص مستريح يريد أن يجرب مشاعر الخسارة بتشجيع فريق مضمون الخسارة كالزمالك، وربما لكي يجرب هذا الإحساس ويعيش حالة من التوازن النفسي فقواعد الصحة النفسية تنصح بتجريب الخسارة والمرارة من حين لآخر لكيلا يصاب المرء بالملل، هذا ما أفهمه يا سادة، أما أن أرى شخصا واقعًا من التمنتاشر، يلازمه الإحباط وتكتنفه المرارة، ولايكتفي بذلك فيشجع الزمالك أيضا، شخص كهذا لا تطالبوني بأي مشاعر إشفاق تجاهه لو سمحتم، فالذي يشجع ناديا منحوسا لا بد أن يتحمل النتائج، هذا من منطق ديني قبل أن يكون منطقا عمليا نفعيا، فما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم، ومن أعمالكم سلط عليكم.

عندما أرى صديقا زملكاويا ولن أسمى أحدا لكي لا يغضب إبراهيم عيسى أو عمرو سليم أو خالد كساب أو شادي سمير أو محمد هنيدي أو حمدي عبد الرحيم أو عماد حسين، عندما أرى أيا منهم ولن أسمى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أيا منهم كما قلت، أشعر بالإشفاق عليهم عندما أراهم يشعرون بسعادة عارمة لأنهم تعادلوا مع الأهلي أو أفلتوا من إنبي أو غلبوا نادي ميكونيكا بطل زامبيا واحد صفر، نفس الإشفاق أشعر به وأنا أرى أعينهم تهرب من عيني بعد أن يسحِق الأهلي فرقتهم البائسة....".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الرابع

عمر طاهر .. زملكاوي عظيم في الزمن الأحمر

صديقي الزملكاوي، أعرف أن ضربتين في الرأس تقتل ولا توجع فقط، خاصة من هذا الكاتب المتعصب تعصب الجاهلية الأولى، ومع ذلك لا تُصبك العكننة ولا تغضب، فمازال الضوء الأبيض متألقا، وسأقدم لك حالاً هدية الموسم التي ستجعلك تفخر بأنك زملكاوي، بل وقد تدفعك هذه الهدية للسير في الشوارع ملفوفا بالعلم الأبيض، وتهتف: لو لم أكن زملكويا لوددت أن أكون زملكويًا.

فهاهو صديقي الكاتب الساخر والشاعر "عمر طاهر" يقدم نموذجًا للزملكاوي العظيم، فقد حوصر عمر طاهر بأهلاوية العائلة، لكنه وفى إصرار الأبطال اختار أن يكون زملكاويًا وجاهر بها فبحث عنه باقي الزملكاوية المضطهدين بعدما منحهم القوة، ويومًا بعد يوم راح عمر طاهر يداوى الجرحى واليتامى، فمنحوه لقب "القائد" الذي يرد عنهم غارات الأحمر المتتالية، وعندما راح يسترجع أيام المجد قال:

"... تزامنت فترة المراهقة عندي بالفترة الذهبية للزمالك فتوطد انتمائي له عبر حمادة عبد اللطيف الشهير بالحاوي، وجمال عبد الحميد بعد أن رماه الأهلي، ورضا عبد العال قبل أن يسرقه الأهلي، وأشرف قاسم وخالد الغندور وإيمانويل وإسماعيل يوسف، كانت فرقة تمتعك فنيا ولا يخلو الأمر من عدة بطولات أيضا، خلال هذه الفترة كنت أفقد علاقتي بأقاربي واحدا تلو الآخر وكنت أرى أبي وهو يتأمل بوستر الزمالك المعلق في غرفتي ويضرب كفا بكف وكنت محط أنظار زملاء الدراسة الذين كانوا يندهشون من وجود شخص يشجع الزمالك بينهم بجرأة بعد أن كان أهلاويا، وذاع أمري في الصعيد باعتباري الزملكاوي الأشهر ذا القلب الميت الذي يتدلى من شباك غرفته علم للنادي وصرت

المسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كعبة كل الزملكاوية المختبئين في الصعيد والذين كانوا يخفون انتماءهم. أذكر منهم مدرس اللغة العربية الذي طرق باب الفصل يوما في غير حصته وطلبني بالاسم وعندما خرجت له سألني إن كنت قد اشتريت جريدة الزمالك لأنه لم يجدها عند علي بياع الجرايد، وقد كانت معي بالفعل، وهكذا بدأت علاقتي بالزمالك من منطقة كراهية الظلم ونصرة المضطهدين ومرت بفريق يستحق التشجيع، لكنني الآن أقف في منطقة تبدو كوميدية ... لماذا أشجع الزمالك وهو في هذه الحالة المزرية؟".

ووجد عمر طاهر إجابة عن السؤال، وكتب أكثر من عشرين سببا رائعا للاستمرار في تشجيع الزمالك ، فمثلاً:

* يُمكنك تشجيع الزمالك من الاستمتاع بأشياء أخرى غير كرة القدم، مثل كف الأمن المركزي الذي هبط على وجه جمال حمزة من ريكاردو، وخناقات اللاعبين حول من الذي سيسدد ضربة الجزاء وهى خناقات تذكرك بأيام الطفولة، وهيئة عمرو الصفتى التي تذكرك بالمخترعين العباقرة المجانين، وتأمل أحوال البشر الغريبة من خلال عبد المنصف الذي يصد الكرات الصعبة ويضع لمسته على الكرات السهلة لتصبح هدفا للخصم.

Telegram:@mbooks90

* كل فترة هناك رئيس جديد للنادي، وهو شيء يندر أن تعاصره في الوطن العربي "فين وفين لما الرئيس يتغير".

* في تشجيع الزمالك تدريب قوي على عدة خصال تكفل للإنسان السعادة دنيا وآخرة "الصبر وطولة البال والرضا بالمكتوب".

* الزمالك ناد متسق مع نفسه وصريح ولا يجمل نفسه ولا يخدع الناس بادعائه أنه قلعة المبادئ، تلك القلعة التي أنجبت متهمًا في جريمة شيك بدون رصيد ومتهما في قضية رشوة وآخر متهما بضرب أمين شرطة.

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

* المفاجآت هي المتعة الأهم في الحياة، عندما يتكرر الفوز بالمباريات وبالبطولات يفقد الفوز معناه وتبهت الفرحة به، الزمالك يفاجئك بالفوز عندما لا تتوقعه، "وبصراحة الواحد لا يتوقعه طول الوقت" فتصبح فرحتك به مضاعفة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الخامس

حمدي عبد الرحيم .. ذكريات الليالي الحمراء

تنتهي مباريات الأهلي والزمالك غالبًا، وليس دائما، بهزيمة الفريق الأبيض. وتتنوع الهزائم بين ثقيلة وعادية ومعتادة، ولا يتحمل تبعات الهزيمة وعلى مدى ليلة كاملة سوى صديقنا الكاتب "حمدي عبد الرحيم"، فهو زملكاوي أصيل، يجعلك تشعر بمتعة الفوز كلما قفز غاضبًا، وأنا شخصيًا عندما كنتُ أهلاويا صميمًا لم أكن أشعر بطعم الفوز إلا بعد مكالمة حمدي عبد الرحيم .. فقط، كنتُ أطلب الرقم وأضحك ضحكة عالية تتكفل بالباقي، ويبدو حمدي وكأنه يريد القفز من الموبايل أو من السماعة، واكتشفت أن عشرات من أصدقائنا الأهلاوية لا يستمتعون بالفوز إلا بعد مكالمة حمدي عبد الرحيم وعلى رأسهم المجرم والسفاح بلال فضل، بل إن حمدي كان، ومازال، يتحمل أيضًا الأصدقاء الأهلاوية خارج الحدود، وقد يتصل أحدهم من الإمارات خصيصا ليضحك!! وينال حظه من السباب والشتائم.

وحمدي عبد الرحيم صاحب الكتاب الممتع "أيام الديسك والميكروباص" طيب القلب لدرجة أنه يتنبأ بهزيمة الأهلي خمسة مواسم متتالية أمام الزمالك وبنتائج مرعبة لا تقل عن الخمسة والستة!! والحقيقة أن نبوءة حمدي مضى عليها سبعة أعوام عجاف. وأكثر!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

معركة الجزائر ..

الكرة في شِباك الأدب

عندما نزل المثقفون أرض الملعب:

خيري شلبي وإبراهيم عبد المجيد وعلاء الأسواني وزيدان يقودون الهجوم .. والغيطاني وسلماوي في الوسط .. وعيسى وهويدي خارج التشكيل..

لم يسبق لأي حدث "كروي" أن شغل المثقفين على هذا النحو، ولا أعتقد أن هناك حدثًا آخر يمكنه أن يجبر الأقلام على الكتابة عن "كرة القدم" مثل هذا الحدث الرهيب .. عن مباراتي مصر والجزائر الشهيرتين نتحدث.

في المباراة الأولى التي أقيمت على استاد القاهرة في 14 نوفمبر 2009 كان المثقفون مشغولين بتلك الروح الوطنية التي هبت على ربوع مصر والتي سبقت المباراة بخمسة أيام على أقل تقدير، حالة فريدة وجديدة جعلت شكل العلم المصري بألوانه الثلاثة "الأحمر والأبيض والأسود" يصبح أكثر بهجة وكأن الناس تراه لأول مرة، راح العلم يرفرف فوق أسطح البيوت ويطل من البلكونات ويتطاير مع الهواء من شبابيك السيارات، وتلك حالة يصعب تجاهلها خاصة وأن محركها الأساسي والوحيد هو: كرة القدم، ماذا تفعل تلك الساحرة بالشعوب؟! عشرات المقالات تتعجب من سحر كرة القدم وبريقها المذهل.

انتهت المباراة بهدفي عماد متعب وعمرو زكى ليحتكم الفريقان إلى مباراة فاصلة، وما أدراك ما المباراة الفاصلة وما جرى بعدها.

المهم .. أن المثقفين، وهذا ما يهمنا في الأمر، وجدوا أنفسهم مجددًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أمام ظاهرة كونية اسمها كرة القدم، فإذا كانوا في المباراة الأولى كتبوا عن الأغاني الوطنية التي انطلقت لتعيد إلى المصريين قليل من حب البلد بعد أن عاشوا سنوات عجاف بلا مشاعر وطنية تقريبًا، فإنهم هذه المرة أمام ما هو إكبر وأهم وأضخم.

فهناك، هناك على البساط الأخضر ثقافة الشعوب وتاريخها ورغباتها الجامحة في إثبات الوجود، هناك على ذلك البساط تجسد كرة القدم دراما العالم، هي الفن والسياسة والاقتصاد والأدب، هي الحب والكراهية والانتصار المدوي والهزيمة الموجعة، هي كرامة الشعوب وما تبقى في الروح من انتماء للبلد.

طارد الجزائريون المصريون في شوارع الخرطوم! فماذا أنت فاعل يا مثقف والحال كذلك؟ هل تعلن انحيازك وترفض إهانة المصريين مهما كان المعتدى؟ ،أم تفكر قليلاً .. أم تخشى التضحية بأحلام الجوائز والمهرجانات التي قد تضيع بسبب "موقف"؟!

عموماً كانت أحداث ليلة الرعب في شوارع الخرطوم صادمة وموجعة لكل المصريين، وقدمت كرة القدم أهم دروسها ومحاضراتها في التحليل النفسي لبعض الشعوب العربية، فقد جرى في النهر ماء كتير وتبخرت شعارات، واحترقت شعارات دون أن ينتبه كثيرون!.

الروائي علاء الأسواني صاحب الشهرة العالمية المدوية اختار أن يكون جنرالاً في المعركة، رفض أن يطبطب ويدلع، فما حدث كان مهينًا ومشهد إحراق العلم صعب الوصف، وكتب الأسواني مقالاً بديعًا عنوانه: "دفاعًا عن علم مصر" يستحق منى أن أعيد نشر أجزاء منه، ويستحق منك أن تقرأه للذكرى وكي لا ننسى ما جرى:

"في يوم 14 نوفمبر عام 1935 كانت مصر كلها تغلي بالاحتجاجات ضد الاحتلال البريطاني، وخرجت مظاهرة حاشدة من جامعة القاهرة

تضم آلاف الطلاب الذين راحوا يهتفون من أجل الاستقلال والديمقراطية.

وحمل الطلاب زميلا لهم من كلية الزراعة اسمه محمد عبد المجيد مرسي وهو يرفع بيده علم مصر وسرعان ما أطلق الجنود الإنجليز عليه الرصاص فاستشهد وكاد علم مصر يسقط على الأرض فسارع بحمله طالب آخر هو محمد عبد الحكم الجراحي من كلية الآداب. وهدد الضابط الإنجليزي عبد الحكم بالقتل لو أنه تقدم خطوة واحدة.

لكن عبد الحكم ظل يتقدم وهو يحمل العلم فأطلق الضابط عليه الرصاص وأصابه في صدره وتم نقله إلى المستشفى حيث لفظ أنفاسه الأخيرة. وخرجت مصر كلها تودع ابنها الشهيد الذي فضل الموت على رؤية علم مصر وهو يسقط على الأرض.

وفى أول يوم من حرب أكتوبر عام 1973 استشهد عشرات الجنود المصريين حتى تمكن الجندي المصري «محمد أفندي» من رفع العلم على سيناء لأول مرة منذ احتلالها.

ليس العلم إذن مجرد قطعة قماش وإنما هو رمز للوطن والشرف والكرامة. فكرت في ذلك وأنا أرى علم بلادي تدهسه أقدام البلطجية الجزائريين في السودان، ويتلذذ بعضهم بإلقائه تحت السيارات والمرور عليه وتمزيقه وحرقه. إن الاعتداءات البشعة التي تعرض لها المصريون في الخرطوم قد كشفت عن عدة حقائق.

أولا: من المألوف في مباريات الكرة أن تندلع أحداث شغب بين المشجعين، لكن ما حدث في الخرطوم تجاوز شغب الملاعب بكثير. لقد حملت طائرات السلاح الجوي الجزائري إلى الخرطوم آلاف البلطجية الجزائريين المسلحين الذين أسندت إليهم مهمة محددة: الاعتداء على المصريين وإهانتهم.

CamScanner المسوحة ضوئيا بـ

وشهادات الضحايا جميعا تدل على أن الغرض من الاعتداء كان إذلال المصريين. فما معنى أن يخلع الجزائريون ملابسهم الداخلية أمام النساء المصريات ثم يكشفون عوراتهم ويرددون نفس الجملة: "نحن ننكح مصر"؟ ما معنى أن يجبروا الرجال المصريين على الانبطاح على الأرض حتى بعد الاعتداء عليهم بالسكاكين والسيوف؟ ما معنى أن يحملوا لافتات كتبت عليها مصر أم الدعارة؟ هل لهذه السفالة أية علاقة بكرة القدم؟ إن هؤلاء الأوباش لا يمكن أن يمثلوا الشعب الجزائري العظيم الذي حارب معنا في حرب أكتوبر واختلطت دماء شهدائنا بدماء شهدائه.

لماذا الإصرار على إذلال المصريين بهذا الشكل وقد فاز الفريق الجزائري بالمباراة؟ أنا أفهم أن يحدث هذا الإذلال من جيش احتلال أجنبي لكن المحزن حقا أن يتم بأيدٍ عربية.

هل يقبل أي جزائري أن تتعرض أخته أو أمه إلى الترويع وهتك العرض بهذه الطريقة؟ إن منظر الضحايا المصريين وهم يبكون أمام شاشات التليفزيون من فرط القهر والمهانة لا يمكن أن ينمحي من الذاكرة المصرية قبل أن نحاسب كل من تسبب في هذا الاعتداء الإجرامي.

مصر هي البلد العربي الأكبر وهي المصدر الأكبر للمواهب البشرية في العالم العربي، لقد كان للمصريين شرف المساهمة في صنع النهضة في بلاد عربية كثيرة: الجامعات أنشأها الأساتذة المصريون، والصحف أنشأها الصحفيون المصريون. معاهد الفنون والسينما والمسرح أنشأها الفنانون المصريون. المدن والبيوت أنشأها المهندسون المصريون. والمستشفيات أقامها الأطباء المصريون حتى القوانين والدساتير هناك غالبًا ما وضعها أساتذة قانون مصريون. بل إن النشيد الوطني الجزائري ذاته قام بتلحينه الموسيقار المصري محمد فوزي. هذا التميز المصري جعل العلاقة بين المصريين والشعوب العربية مركبة: فيها الحب والإعجاب غالبًا وتحمل أحيانا بعض الحساسية والتوتر. في فترة المد القومي الناصري، ساندت

مصر الثورة الجزائرية وأمدتها بالمال والسلاح ودافعت عنها في المحافل الدولية وأرسلت جيشها لمساندة الثورة اليمنية بل وخاضت مصر الحرب دفاعًا عن فلسطين وسوريا. إن موقف النظام المصري من إسرائيل لا يمثل إطلاقا موقف الشعب المصري ولا يجوز أبدا أن يستعمل كذريعة من أجل الاعتداء على المصريين وإهانتهم.

رابعا: لقد كان الاعتداء على المصريين في الخرطوم نوعا من إرهاب الدولة تورط فيه النظام الجزائري وساعده في ذلك تقصير النظام المصري وفساده وعجزه عن حماية المصريين. لقد مر أسبوع كامل على ارتكاب الجريمة بغير أن يتخذ النظام المصري منها موقفا جادًا حاسمًا. إن إصرارنا على عقاب من اعتدوا على كرامتنا، لا يتعارض أبدًا مع انتمائنا القومي فالحسابات الجيدة كما يقول المثل الفرنسي تصنع دائما أصدقاء جيدين. والعلاقات الأخوية بين الشعبين الجزائري والمصري لا يمكن أن تتحقق إلا باحترام حقوق المصريين والجزائريين جميعًا".

وشنت صحف الجزائر هجومًا حادًا على الأسواني، بل إنهم لجأوا إلى طريقة جديدة في الانتقام تستحق التسجيل ضمن موسوعة الإجرام، والوحيد الذي توقف أمامها صديقي الكاتب أكرم القصاص في مقال رائع نشر بموقع اليوم السابع اقتبس منه هذه السطور: "اقتطفت جريدة جزائرية "التراسية" مقاطع من مجموعة "نيران صديقة" لعلاء الأسواني، وهى جمل منسوبة إلى شخصية مختلة، تقول عن المصريين إنهم عبيد وفاسدون، وزاد الطين بلة أن الصحيفة الهستيرية دعت إلى قراءة عمارة يعقوبيان وأعمال علاء الأسواني كدليل على حقيقة المصريين، ومعروف أن انتزاع الجمل من سياقها فضلاً عن كونه جهلاً، فهو يدخل ضمن سوء نية من يحاولون توظيف الأدب المصري العظيم في معركة تافهة، وهو سلوك لم يتجرأ عليه أي من ألتراس الإعلام الرياضي عندنا، ولو فعلوه لهاجمناه مثلما نفعل مع بعض جهلاء الجزائر. وأسوأ ما في الأمر أن

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

يتم توظيف أدب إنساني عظيم، في معركة حول أمر تافه، مثلما جرى مع الروائي علاء الأسواني الذي قدم في عمارة يعقوبيان أو شيكاجو وقبليهما نيران صديقة نماذج سلبية أو فاسدة بالمجتمع حاول إخواننا الجزائريون توظيفها في معركة الكرة وكأنها شهادة في حق الشعب المصري، ووجدنا عناوين في جريدة الشروق (الجزائرية) تقول: هذه صورة مصر عند علاء الأسواني، وهى حيلة تتجاوز السذاجة إلى التفاهة، لأننا نرى المؤسسات الأدبية الكبرى تعاملت مع أدب الأسواني بصفته أدبا إنسانيا يتخطى عالمه المحلي إلى العالم".

بعد يومين من المعركة .. وبينما غبار الحرب مازال على وجوه جمهور مصر العائد من السودان، وبينما يتظاهر الشباب أمام السفارة الجزائرية بالزمالك، نقول .. بينما الحال كذلك، أصدر اتحاد كتاب مصر بيانا ناعمًا وطريًا مثل الملبن الأبيض قال فيه: "يأسف اتحاد كتاب مصر لما وقع من أحداث ومشاحنات في مباراتي الجزائر ومصر، ويرى أن ما حدث لا يعبر من قريب أو بعيد عن تاريخ العلاقة بين الشعبين الشقيقين، ويدين الشحن الإعلامي الزائد للجمهور وتقديم معلومات خاطئة لإثارة الرأي العام، وتحويل حدث رياضي عابر إلى مناسبة لزرع الفتنة وإثارة الفرقة وتبادل الاتهامات.

إن اتحاد كتاب مصر يناشد كل الأطراف ألا يخلطوا في العلاقات العربية بين الثوابت والمتغيرات، فالخلافات المتغيرة داخل الأمة العربية ما بين دولة وأخرى لا يجب أن تهدد ثوابت العمل العربي المعتمد على التاريخ الواحد والمصير المشترك، إن أدباء وكتاب مصر أعضاء الاتحاد وهم يستشعرون الخطر المتربص بالأمة العربية إنما يحذرون من الانسياق إلى اتخاذ مواقف انفعالية يمكن أن توسع الفجوة بين الشعبين، لأن الصراع والشقاق بين مصر والجزائر لا يخدم سوى أعداء هذه الأمة".

ومن الغريب والمدهش والعجيب أن موقف الكُتاب .. لم يكن هو نفس

CamScanner المسوحة ضوئيا بـ

موقف الاتحاد!

فقد أجرت الزميلتين "دينا عبد العليم و سارة علام" استطلاعا بين المثقفين لموقع اليوم السابع لمعرفة موقفهم مما جرى للجماهير المصرية في السودان فقال الروائي الكبير "خيري شلبي": "كنت أخشى الذهاب إليها لأن المناخ هناك معبأ بالكراهية والإرهاب .. أنا مع مقاطعة الجزائريين لأن المصريين لن ينسوا ما حدث في السودان .. نفد صبرنا عليهم بعد أن احتملنا سخافاتهم لفترات طويلة".

وقال الروائي الكبير إبراهيم عبد المجيد: "ما حدث جريمة كبيرة .. كنت أنتظر أن يعبر المثقفون والفنانون الجزائريون عن رأيهم في القضية"، وقال الروائي يوسف القعيد: "ما حدث شكل من أشكال الإرهاب وجريمة قامت بها كلٌّ من الحكومة والشعب الجزائري معاً في حق الحكومة المصرية وشعبها، هذا الموقف يستدعي المقاطعة على كافة المستويات".

واتفق عدد من كتاب الجيل الجديد مع رؤية هؤلاء الروائيين الكبار، فاتخذت الشاعرة والمترجمة فاطمة ناعوت موقفًا واضحًا وطالبت بمقاطعة الجزائر ثقافيًا، وكذلك قال الكاتب المسرحي باسم شرف وأشرف عبد الشافي الذي هو كاتب هذه السطور.

عموما، نص بيان اتحاد الكتاب قريب الشبه من مقال الكاتب الكبير "محمد سلماوي" الذي نشره بالأهرام تعليقا على الأحداث بعنوان "الخرتتة"، والذي بدا "سلماوى" من خلاله حادًا، على غير عادته، اقرأ وقارن وشوف بنفسك:

"للكاتب المسرحي الكبير يوجين يونسكو مسرحية اسمها الخرتيت, تتحدث عن حالة عبثية ألمت بمجتمع أصبح يتحول فيه المواطنون إلى قطعان من الخراتيت, تنساق في طريقها مندفعة بكل قوة وغير

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عابثة بأي اعتبارات من حولها مهما تكن أهميتها، ويظل بيرانجيه بطل تلك الرائعة المسرحية التي أصبحت من كلاسيكيات مسرح العبث العالمي، يراقب الناس من حوله وهم يتحولون الواحد تلو الآخر إلى ذلك المخلوق الهائج الغليظ ذي الجلد السميك والذي يغفل عن كل ما حوله في اندفاعه المتسرع بقرنه الوحيد نحو هدفه.

تذكرت ذلك الموقف الذي تصور يونسكو وهو يكتبه أنه موقف عبثي خيالي، وأنا أتابع ذلك الاندفاع غير الواعي من الإعلام للهجوم والتهجم على الجزائر البلد والشعب والتاريخ والنظام، وليس فقط على لاعبي الكرة ومشجعيهم بأفظع الشتائم التي لا أعتقد أن أحدًا قد سمعها على شاشة التليفزيون من قبل، أو سمع مثيلها الآتي من الجانب الآخر.

وأنا لا أناقش هنا من المخطئ ومن المحق، فالخطأ قد وقع من الجانبين، وإن كان الرد الجزائري قد جاء أعنف، لكن تلك مسألة سيقوم الاتحاد الدولي للكرة بالتحقيق فيها، وكان يجب أن يبادر الطرفان قبل أي طرف أجنبي بمثل هذا التحقيق حتى يخرج باعتذار عما يستوجب الاعتذار.

والخطأ الأكبر الذي وقع فيه ذلك الإعلام السياسي الصادر من ملاعب الكرة هو أنه خلط بين الثوابت والمتغيرات، فمباراة مصر والجزائر، أيًا كانت أهميتها هي متغير زائل قد يكون اليوم ولا يكون غداً، أما المصالح المصرية العليا فهي ثوابت لا يجوز أن نضعها في مهب الريح بسبب عرض زائل، ولاشك أن المسائل تعدت حدود مباراة في كرة القدم بين مصر والجزائر إلى اعتداءات غير مسئولة تمس كرامة الوطن ذاته، لكن ذلك كان سببا أدعى ليكف الإعلام الرياضي يده عن الأمر ويترك لأصحاب الرؤى السياسية معالجة الأمور في إطار أن ما حدث لم يحدث بين دولة عربية وأخرى عبرية".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي سياق الأحداث لم يتوقع كثيرون أن يكتب يوسف زيدان مقالاً على هذا النحو، فالكاتب الحاصل على جائزة البوكر العربية عن رواية "عزازيل" العام الماضي، والمعروف بعلاقاته العربية الواسعة بحكم عمله بمكتبة الإسكندرية أعلن ثورته على ما جرى، رافضًا أن تمارس الجزائر، حكومة وشعبًا، هذا الإرهاب على المصريين، واستحضر زيدان مواقف شخصية تخص الجزائر سواء حين نزل ضيفًا عليها أو عندما التقى طلابها في القاهرة.

صحيح أن المقال جاء متأخرا بعض الشيء حيث نشر بصحيفة المصري اليوم بتاريخ "25 نوفمبر 2009" أي بعد مرور سبعة أيام على الأحداث الدامية المفجعة، وهذا وقت طويل جدًا في حدث كهذا، إلا أنه كان الأكثر دويًا، فقد انهالت الكتابات تهاجم "زيدان" لدرجة أن الكاتب "خالد الحروب" كتب في صحيفة الشرق الأوسط يطالب بسحب جائزة البوكر العربية من "زيدان" واعتبر الحروب، وهو أكاديمي فلسطيني، في مقالة تحت عنوان: "هل تُسحب جائزة البوكر العربية من يوسف زيدان؟" إن المطالبة بسحب الجائزة تأتى "حفاظًا على اسم مصر وموقعها"، وفى إطار "رفض دعوات التفوق العرقي" التي رأى الكاتب أن زيدان قد أفصح عنها فى مقالته "ذكريات جزائرية".

وكتب الروائي رءوف مسعد مقالا بصحيفة السفير اللبنانية بعنوان: "المثقفين الشتامين" انتقد فيه زيدان أيضًا، في حين كتب الجزائري "ياسين تملالي" في صحيفة الأخبار اللبنانية مقالا بعنوان، "حتى أنت يا يوسف زيدان؟ وصف فيه صاحب عزازيل بالجهل والغباء والتعصب"؟!

بشكل عام، إليكم مقتطفات من مقال يوسف زيدان "ذكريات جزائرية" .. للذكرى: "المعرفة تذكُّر والجهل نسيان. لو لم يكن أفلاطون يونانيًا لصار وليًا من أولياء الله، ولو لم يكن المصريون مصابين بداء النسيان وبالميل للطيبة التي هي (الهوان) في كثير من الأحيان، لما جرؤ

الجزائريون على أفعالهم القبيحة ضد المصريين في فرنسا والجزائر بعد المباراة الأولى، ولما دخلوا المباراة الثانية يحملون تحت إبطهم السكاكين.

سكاكين! في مباراة كرة قدم! لست كما قلت من مشجعي كرة القدم، ولا أهتم بها إلا قليلاً. لكنى أعرف أن حملة السكاكين قومٌ مجرمون، ولم يكن من الصائب أصلاً أن نلاعب المجرمين، فالمجرمون ليس لهم إلا العقاب .. عقاب اللاعب الذي فقأ عين الطبيب، وعقاب البدو الصحراويين الذين صارت لهم بلد، فظنوا أنفسهم مثل المصريين وتخيّلوا أن كل البلدان مثل كل البلدان، وعقاب حكومة ركيكة تدير أمور بلدها كما تدير الرقيعات.

لا يستغربن أحدٌ تشبيهي لأفعال الحكومة الجزائرية بالرقاعة، فأنا أميل لتسمية الأشياء بأسمائها، ولولا بقية من حياء لصرَّحت باللفظة التي يجب أن نصف بها أفعالهم؛ وإلا، فما هذا الفعل الحكومي الجزائري الذي حدا بهم إلى فرض ضرائب غير منطقية على رجل الأعمال المصري، نجيب ساويرس، لصالح شركتين أخريين تعملان هناك في سوق الموبايلات. وما تلك التلويحات الجزائرية بمسألة توريث الحكم في مصر، وكأنهم أعرف بنا منا. وما هذا النكران لبلدٍ كان بالأمس القريب يطعمهم من جوع ويؤمنهم من خوف ويخرجهم من جهل. وما هذا العنف من كيان ضعيف؟ أليست هذه كلها من صفات الرقيعات، بل رقيعات الدرجة الدنيا".

صباح 17 نوفمبر 2009، نوهت صحيفة الأهرام في صدر صفحتها الأولى عن نشرها قصيدة للشاعر فاروق جويدة بعنوان: "أنا من سنين أحب الجزائر"، وبعد انتهاء المباراة الفاصلة وتوابعها الشهيرة تم تغيير اسم القصيدة إلى "وتبقين يا مصر فوق الصغائر".

CamScanner المسوحة ضوئيا بـ

وبعد هدوء العواصف .. ظهر فجأة تنظيم "العقلاء"، وتوالت المقالات التي توبخ الثائرين، وتؤدب المطالبين بحق المصريين. وتقلم أظافر هؤلاء الخارجين على ثوابت الأمة وقواعدها المتينة، وكتب الروائي الكبير جمال الغيطاني مقالاً بعنوان: "إنه الجنون" إليكم مقتطفات منه على سبيل الذكرى أيضًا: "إنني أطالب بمحاكمة لاعب الكرة السابق الذي أهان الشعب الجزائري وثورة الجزائر التي تعد من أعظم ثورات القرن العشرين والتي تضامن معها أدباء العالم ومفكروه وفى طليعتهم أحرار الفرنسيين. لطفي الخولي، رحمه الله، هو الذي صاغ هذا التعبير، بلد المليون شهيد، وهذه ليست بلاغة سياسية، إنما حقيقة موضوعية لا يمكن محوها بالسباب والمعايرة، هذا السباب وتلك اللغة التي تعكس جهلاً بالتاريخ وحقائق السياسة والعلاقات؛ تدين من تصدر عنهم أكثر مما تمس الموجه إليهم. كان من الأمور الدامية للمشاعر رؤية الدمار الذي لحق بالمؤسسات المصرية العاملة في الجزائر، وأيضًا محاولة الهجوم على سفارة الجزائر فى مصر، ليس من البطولة الهجوم على مقر سفارة في بلد ما، لقد أدانت الفيفا ما وقع للحافلة الجزائرية في مطار القاهرة، وإذا صح ما قيل عن إلقاء طوبة فهذا أمر شائن. ليس من الشهامة التعبير عن أي فعل عدائي من البلد المضيف، نفس الأمر يقال بالنسبة لأولئك الذين هاجموا ما ينتمي إلى مصر هناك. هنا لابد من تسجيل حقيقة وهى أن جزائريين هناك أمنوا المصريين المهددين ووفروا لهم الحماية من المجانين الكرويين".

الوحيد الذي كان هناك، في الجزائر، هو صديقي الكاتب محمد شعير، حيث سافر لحضور وقائع تسليم جائزة الجاحظية في الشعر للشاعر "عبد المنعم العقبى" في نفس توقيت إقامة المباراة الأولى بالقاهرة، ومن هناك، من غرفة الفندق التي شاهد فيها المباراة صامتًا مرعوبًا كتب مقالاً رائعًا، اعتقد أن مقتطفات من هذا المقال ستكون الأنسب لختام تلك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المعركة، مع ملاحظة بسيطة: أن المقال عقب المباراة الأولى، ومن قلب الجزائر:

"لم نخرج من الغرف يوم السبت وفى وقت المباراة أغلقت الغرفة جيدًا، أسمع فقط أصوات المشجعين الجزائريين في الغرف المجاورة وفى قاعة الاستقبال.. كلّ قنوات التلفزيون الجزائري تذيع المباراة، الفرق الوحيد هو المعلّق. إرسال القناة التي تذيع بالعربية ليس جيدًا، إذن الحل هو مشاهدة المباراة على القناة الأمازيغيَة.

عندما أحرزت مصر الهدف الأول لم أتحرّك، صفقّت في الهواء حتى لا يصل صوتي إلى الخارج، كل شيء غير مضمون هنا، وأنت لا تعرف ردّ الفعل على أية فرحة مصرية. قبل دقيقة واحدة من نهاية المباراة خرجت الجماهير الجزائرية احتفالا بالنصر والوصول إلى كأس العالم، لم ينتظروا الدقيقة المتبقية، امتلأت السماء بالشماريخ وكلاكسات السيارات. عندما أحرز عماد متعب هدفه خيمت حالة من الصمت، ولم أستطع أن أقمع نفسي أكثر، رحت في تصفيق متواصل. ولم أنس أن أتحرك ناحية الباب لأتأكّد من إغلاقه جيدًا. فكل شيء غير مضمون.

في تلك اللحظة التي أحرز فيها متعب هدفه مات مواطن جزائري كان قد شارك مع مصر في حربها ضد العدوان الثلاثي بالسكتة القلبية!

بعد المباراة هدأ الجو قليلاً، حالة من الإحباط خيّمت على الشارع الجزائري، عمّال الفندق المتعصبون لفريقهم بدؤوا في تهنئتي ولكن كنت ألحظ الغلّ في لهجة صوتهم ونظراتهم، وكانت ردودي لا تخلو من حكمة: إنها مجرد مباراة، وعلينا أن نتحلّى بالروح الرياضية!

قال موظّف الاستقبال: يمكن أن يهدأ الجو إذا قام أبو تريكة ومحمد منير وعمرو خالد بزيارتنا (حل مثالي أليس كذلك؟) الثلاثة هم ممثلو مصر ويحظون بشعبية كبيرة هناك، ووحدهم القادرون بالفعل على

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تخفيف حدّة الاحتقان!

بدأ اليوم التالي باتصالات العديد من الأصدقاء الجزائريين للاطمئنان علينا، وأيضا تحذّر من الخروج منفردين. الأخبار القادمة تؤكّد وقوع وفيات في الجزائر، تبدّلت تمامًا الحالة. بدأ عنف جزائري، وأصبحوا في انتظار نعوش. في الصباح أكد موظف الفندق موت أربعة، وبعد ساعتين ارتفع العدد إلى 17 فردًا، وأصبحوا في المساء 24، كل من نلتقيهم يؤكد أن جاره مات أمس في القاهرة. كنا نستمع إلى ما يقال، ونتجاهل الأمر لأننا لا نفهم في الكرة، ولو كان الشخص عاقلاً نناقشه بأن هذا الأمر يكاد يكون مستحيلاً في المساء كانت السيارات تحمل نعشا وهميا ملفوفًا بعلم مصر وعليه صورة مدرب المنتخب حسن شحاتة.

الإحباط أصبح سيد الموقف خاصة أن كلّ الدلائل كانت تشير إلى وصول مريح للجزائر إلى كأس العالم، كان يمكن أن تتعادل مصر في أي من مبارياتها خارج أرضها، ولم يحدث ذلك، وكان يمكن أن تفوز الجزائر بعدد وافر من الأهداف على رواندا الضعيفة وأيضًا لم يحدث ذلك، وكان يمكن ألا يدخل هدف عماد متعب. إذن الأقدار تلعب مع مصر. والقرعة اختارت السودان كما أراد المصريون، وليس تونس كما رغب الجزائريون. في تلك الليلة بدأت قنوات التلفزيون الجزائري تذيع برامجها عن العلاقة الوثيقة التي تجمعهم بالشعب السوداني، وبرامج أخرى عن غزو مصر للسودان، وكيف يكره الشعب السوداني المصريين!

لم أكن أتوقّع ونحن في مطار الجزائر في رحلة العودة أن يحدث ذلك: ضابط الجوازات يمسك بالجواز لا يتحدث. فقط يُخرج الجرائد ويأمرني بأن أقرأ ما كتب، تفتيش ذاتي للمصريين، البائعة في السوق الحرة رفضت أن تبيع لي أي شيء "لأنك مصري..ونحن نكرهكم". في المطار حكى المصريون الذين كانوا على الطائرة ذاتها في رحلة العودة عن "بهدلتهم" .. عادوا من دون أية أغراض أو حتى شنطة الهدوم، تعرضوا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

للضرب، والاحتجاز في المطار لأيام .. أحدهم حبس في "غرفة العفش" أربعة أيام. البعض قال أنهم يدورون على البيوت يسألون: هل لديكم هنا مصريون؟ وجزائريون آخرون هم الذي قاموا بإيواء وحماية المتبقين هناك".

وكتب صلاح عيسى وفهمي هويدي مقالين عن "تفاهة" كرة القدم وغباء جماهير اللعبة، وعبر صلاح عيسى عن عقدة قديمة من المحررين الرياضيين وكرة القدم بوجه عام .. والذكرى تنفع المؤمنين.

Telegram:@mbooks90

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner